مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار التاسع عشر
المجلد (٦) العدد (٢)
٢٠٢٥ (١-٢٥)

الهجرة البيئيّة في سياق مخاطر التغيّرات المناخيّة في البلدان النّامية: "تاراوا في كيريباس" و"درنة في ليبيا" مِثَالَيْن للدّراسة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

اسمهان بنفرج

أستاذة مساعدة بجامعة صفاقس، تونس.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩ مايو ٢٠٢٥م

الملخّص

يهدف بحثنا إلى إماطة اللثام عن الهجرة البيئيّة بوصفها إحدى أهمّ المخاطر التي تُحدثها التّغيّرات المناخيّة، وتوصيف الحياة اليوميّة للمهاجرين الذين وجدوا أنفسهم أمام خيار الهجرة سواء بصفة طوعيّة/اختياريّة أو قسريّة، والبحث في المعنى الذي يُعطيه هؤلاء ليوميّهم الجديد. وتشرح الدّراسة نوعين من الهجرة المناخيّة: هجرة خارجيّة ضمن فضاء تفاعلي بين الدّولة المُغادَرَة ونظيرتها المُستقبِلة، كما في مثال "تيتيوتا" من كيريباس إلى نيوزيلاندا، وهجرة داخليّة ضمن سياق الدّولة الواحدة، كما في مثال متضرّري درنة بليبيا النّازحين من مدينتهم إلى مدن أخرى بفعل الفيضان. خلُصت الدّراسة، بالاستناد إلى تقنيّتيْ المقابلة المفتوحة وتحليل المضمون، إلى نتيجتين مركزيّتين: أولاهما أنّ هؤلاء المهاجرين البيئيّين مثّلوا ضحايا في عديد المرّات: ضحايا الفوضى المناخيّة التي أفقدتهم يوميّا مستقرّا على أرضيّة من السّلام، وضحايا لامبالاة فاعلين محلّيّين وعالميّين لم يلتزموا بإعادة بناء هذه الفوضى واستعادة التّوازن، وضحايا لقوى عالميّة غير متكافئة تحكّمت في مصائرهم ومصائر البلدان النّامية الأكثر تضرّرا من التّغيّرات المناخيّة. وثانيتهما أنّ الدّول المتقدّمة لم تتمظهر بأخلاق الرعاية. و لم تنشغل بقيم حماية الإنسانيّة من مخاطر التغيّرات المناخيّة، و لم تتّخذ إجراءات جريئة للتمكين من التكيّف مع التغيّرات المناخيّة قصد توفير العدالة المناخيّة وتفعيل الحق في بيئة سليمة كما أقرّه مجلس حقوق الإنسان.

Abstract

Our research aims to shed light on environmental migration as one of the most important risks posed by climate change, characterise the daily lives of migrants who have chosen to migrate either voluntarily or involuntarily, and investigate the meaning they give to their new daily lives. The study explains two types of climate migration: external migration, as in

the case of Titiuta from Kiribati to New Zealand, and internal migration, as in the case of those affected in Derna, Libya. Using the techniques of open-ended interview and content analysis, the study found that these environmental migrants have been victimised many times over : Victims of the climate chaos that has robbed them of a peaceful daily routine ; victims of the indifference of local and global actors who are not committed to rebuilding this chaos and restoring balance, and victims of unequal global forces that have controlled their destinies and those of developing countries most affected by climate change and have not sought to enable them to adapt to these disruptions to realise the rights to a healthy environment and climate justice as recognised by the Human Rights Council (HRC).

Keywords: Climate change, risk, environmental migration and dailing living.

*** المقدمة**

لقد بات من الواضح منذ عدّة عقود أنّ موضوع التغيّر المناخي وأسبابه ونتائجه من أهمّ هواجس العالم وانشغالاته على اتّساعه. فقد تولّد هذا الانشغال منذ أن أدلى عالم الناسا (NASA: National Aeronautics and Space Administration) "جيمس هانسن" (James Hansen)، في ٢٣ يونيو ١٩٨٨، بشهادته أمام مجلس الشيوخ الأمريكي قائلاً إنّه تمّ اكتشاف ظاهرة الاحتباس الحراري، ممّا يشير إلى أنّ المناخ كان يتغير في الواقع[1]. وقد بيّن في هذا التّقرير جملة من العوامل المؤثّرة في تغيّر المناخ كالطبيعيّة منها (البراكين) والمفتعلة من قبل البشر (الوقود الأحفوري وثاني أكسيد الكربون). بلوَرَت نظرةُ هانس المتبصّرةُ التّفكيرَ في هذه المسألة بجدّية ؛ فتشكّلت في البرازيل عام ١٩٩٢ قمّة الأرض التي أنتجت اتّفاقية الأمم المتّحدة الإطاريّة بشأن المناخ الهادفة إلى ضرورة الحفاظ على كوكب مستدام للأجيال القادمة، ليتبعها فيما بعد سنة ١٩٩٧ في اليابان بروتوكول كيوتو الرّامي "إلى تثبيت الانبعاثات الجويّة لثاني أكسيد الكربون في القرن الحادي والعشرين عند ٥٥٠ جزءا في المليون والذي يبلغ نحو ضعف المستوى السّائد في أزمنة ما قبل الصّناعة" (معلوف، ٢٠١٦: ١٤) ؛ وكذلك مؤتمر "لاهاي" في هولندا سنة ٢٠٠٠، ومؤتمر باريس سنة ٢٠١٥، ثمّ مؤتمر الأطراف بدبي عام ٢٠٢٣. سعى كلّ من "ريو" "وكيوتو" إلى تسخير التّعاون الدّولي للحدّ من الانبعاثات الغازيّة ومطالبة الدّول المتقدّمة/الغنيّة (دول الشّمال) والأكثر تلويثا بأن تشْرَع في إجراءات التّقليل من انبعاثات غازات الدّفيئة وآثار التغيّر المناخي قبل الدّول الفقيرة (دول الجنوب) بعشر سنوات

[1] Statement of Dr. James Hansen, Director NASA Goddard Institute for space studies, 1988, Pp, 39-48. In : https://www.sealevel.info/1988_Hansen_Senate_Testimony.pdf (Consulté le 03/02/2024).

وذلك لأسبقيّة دخولها في عالم التّصنيع والحداثة المُتسبّبين بشكل أو بآخر في التغيّرات المناخيّة[1]. وكان هذا الطلب مدفوعا بغاية التّمكين من التّكيّف بيُسر مع تغيّر المناخ واستباق المخاطر وضمان التّنمية الاقتصاديّة المستدامة. عكسَت هذه الاجتماعات الدّوليّة تشكُّلَ وعي متنامٍ بتهديدات التغيّرات المناخيّة، وأبدت استعدادا للالتزام بتوليد طاقة بديلة، وروّجت لفكرة كوكب مُستدام، إلاّ أنّ الخيارات الدّوليّة فيما بعد قد تخلّفت عن مستوى الالتزام والمسؤوليّة (خاصة لدى الولايات المتّحدة الأمريكيّة والاتّحاد الأوربي واليابان) ولم يُشرع في تنفيذ خطط لتجاوز أزمة المناخ العالمي. فالالتزامات التي عبّرت عنها دول الشّمال في مؤتمريْ ريو وكيوتو لم تتخطّ حدود الخطابات ولم تقدر على استحثاث نسق التّغيير وخلق فلسفة اقتصادية واجتماعية جديدة لأنّ هذا المشروع يتعلّق أساسا بكيفيّة استخدام الطاقة في حين لم تستعدّ تلك الدّول بعدُ لاستخدام بدائل الوقود الأحفوري غير القادرة على المنافسة العالميّة رغم بروز إنذارات تؤكّد حجم المخاطر التي ينتظرها العالم. فعلاوة عن "الفاتورة التي من المفترض أن تدفعها البشريّة من جرّاء تغيّر المناخ العالمي بما يقارب ٥٥٠٠ بليون يورو أي ما يُوازي خسائر الحربين العالميّتين الأخيرتيْن" (معلوف، ٢٠١٦: ١٧)، فإنّ لذلك التغير أضرارا أخرى جسيمة مثل تنوّع الكوارث الطبيعيّة وتعدّدها ؛ فقد حدث منذ عام ٢٠٠٠ ما يزيد عن ٢٥٠٠ كارثة طبيعيّة في شتّى أنحاء العالم أثّرت على المليارات من النّاس. وفي الفترة الممتدّة "بين عاميْ ١٩٨٧ و٢٠٠٧ توفّي ما يزيد عن ١.٥ مليون شخص نتيجة لكوارث طبيعيّة مثل الأعاصير والعواصف الإعصاريّة المداريّة، وطوفان المدّ الزّلزالي (تسونامي)، والثّورات البركانيّة، والهزّات الأرضيّة والجفاف والفيضانات والانهيارات الأرضيّة" (مجلس حقوق الإنسان، الدّورة التّاسعة عشرة، ٢٠١١: ٧)، فضلا عن أنّ تلك الكوارث قد أفرزت بدورها مخاطر أخرى مثل تدهور التّنوّع البيولوجي وتغيّر النّظم الإيكولوجيّة وهجرة العديد من الأشخاص من أماكن وأراض وجزر سيستحيل فيها العيش.

في سياق الحديث عن مخاطر التّغيّرات المناخيّة، سيُعنى هذا المقال بالبحث في مسألة الهجرة البيئيّة كأحد أهمّ المخاطر، إذ يتّخذ بعض الأفراد في بعض الدّول من الهجرة البيئيّة سبيلا، لأسباب تتعلّق بتأثير المناخ على محاصيلهم الزّراعية وأنشطتهم الفلاحيّة، ممّا يُوقعهم في مخاطر الجوع والاحتياج ؛ فيختارون بكل إرادة منهم وبشكل طوعي الهجرة داخليّا أو خارجيّا (داخل نفس البلد أو خارجه). ويضطرّ بعض آخر من دول أخرى لمغادرة أراضيهم لتضرّرهم من الكوارث الطبيعيّة سريعة التدمير كالزّلازل والفيضانات وارتفاع مستوى مياه البحر (...إلخ) ؛ وهنا نتحدّث عن الهجرة القسريّة.

وقد مثّلت الهجرة البيئيّة موضوعا مهمّا أخذته في الاعتبار جملة من الباحثين الأكاديميّين منذ عقود. فكان "عصام الحناوي" (Essam El Hennawi)، الأكاديمي المصري المتخصص في قضايا البيئة والطاقة ومستشار المركز الدّولي للبيئة والتنمية، أوّل من نشر مصطلح "لاجئي البيئة" أثناء كتابته تقريرًا لبرنامج الأمم

[1] كانت الدّول الغنيّة والمتقدّمة والكبرى والصّناعيّة قد مُنحت الحق في التلويث بنسبة ١٠% أمّا الدّول النّامية والصّغرى فبنسبة ٠,٥% فقط ويمكن بيع هذا الحق إذا لم يقع استعماله. عن وحيد الفرشيشي، "الحقوق البيئيّة والعدالة المناخيّة حقوق إنسانيّة كاملة"، الدورة التّدريبيّة الإقليميّة في مجال حقوق الإنسان عنبتاوي ٣٣، تحت عنوان "تعزيز الحقوق البيئيّة والعدالة المناخيّة في المنطقة العربيّة" يوم ٠٥ نوفمبر ٢٠٢٣، تونس.

المتحدة للبيئة عام ١٩٨٥ (El Hennawi, 1985). وفي عام ١٩٨٨، تولى "جاكوبسون" (Jodi L. Jacobson)، عضو معهد "WorldWatch"، عمل الحناوي لكتابة تقرير يدعم وجود علاقة سببيّة مباشرة بين البيئة وحركات الهجرة، حتّى أنّه قدّر في ذلك الوقت عدد اللاجئين البيئيين بـــ ١٠ ملايين (Jacobson, 1988). أمّا "مايرز" (Norman Myers)، أستاذ علوم البيئة، فقد تعددت منشوراته منذ تسعينيّات القرن الماضي وشارك في تسييس القضيّة من خلال العلاقات التي يحافظ عليها داخل دوائر القرار الدّوليّة. وقد أشار إلى وجود ٢٥ مليون لاجئ بيئي عام ١٩٩٧، وتوقع أن يبلغوا ٢٠٠ مليون بحلول عام ٢٠٥٠ (Myers, 1997: 167-182).

امتدّ سياق الاهتمام بموضوع الهجرة البيئيّة ليشمل المنطقة العربيّة، حيث بيّن في تونس عبدلاله بونوح (Bounouh Abdlala et Gsir, 2017) أنّ الهجرة ليست نتيجة بسيطة لتغيّر المناخ، ولكنّها يمكن أن تشكّل مثالاً على تكيّف السّكان ومرونتهم مع التغيّرات البيئيّة. وتدعو دراسته إلى عدم عزل عامل محدّد للهجرة – مثل البيئة – بل إلى فهم كيفيّة تفاعل العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبيئيّة وتعزيز بعضها البعض. علاوة على ذلك، توفّر هذه الدّراسة معطيات جديدة ومعلومات مفيدة يمكن لتونس الاعتماد عليها في سياق تنفيذ عدد معيّن من العمليّات الدوليّة، مثل تطبيق اتفاق باريس بشأن المناخ، وتطوير الاتفاق العالمي من أجل هجرة آمنة ومنظمة وتنفيذ أهداف تنمية مستدامة. فضلا على الدّراسة التي أخذت في الاعتبار أزمة المياه كأحد أهمّ تبعات التقلّبات المناخيّة (الجراية، ٢٠٢٤: ٩-٣٩) ونظيرتها التي أشارت إلى تأثير التغيرات المناخيّة اجتماعيّا وتحفيزها على توسّع الوعي بين الأفراد ونشأة الحركات الاجتماعيّة (السّتاتي زين الدّين وإقبال، ٢٠٢٣: ١٧٨). تُبدي الدّراسات السّابقة تقاطعا لافتا للانتباه حول تمفصليّة موضوعَيْ تغيّر المناخ والهجرة سواء كانت داخليّة أو خارجيّة. فالكوارث الطبيعيّة التي برزت إلى الوجود منذ عقود أضحت تُهدّد الأمن الإنساني والاجتماعي.

تكمن أهمّية دراستنا في إلقاء الضّوء على أمثلة من أشخاص تحمّلوا الخوف والقلق وافتقدوا السلم الأهلي و لم يعودوا قادرين على التّفاعل المثمر والخلاّق مع بيئتهم الطبيعية نظرا للتشوّهات والاختلالات التي أصابتها بفعل كوارث طبيعيّة؛ فاختاروا طوعا وقسْرا الهجرةَ بوصفها الحل المناسب للأزمة. وقد اخترنا دراسة نوعيْن من الهجرة البيئيّة: أوّلهما يتصل بهجرة داخليّة ومن منطقة عربيّة مطلة على البحر الأبيض المتوسط تضرّرت منها عائلات كثيرة بفعل فيضان وتهمّ منطقة درنة بليبيا. وثانيها يتمثل في هجرة خارجيّة ومن منطقة أجنبيّة على المحيط الهادي، وتُعنى بحالة أوّل مهاجر بيئي يُسمّى "يواني تيتيوتا" هو أوّل من تقدّم بطلب اللجوء البيئي إلى "نيوزيلندا" له ولأسرته، بعدما فقدت أسرته سبل العيش وإمكانيّات بناء مستقبل في جزيرة "تاراوا في كيريباس"[١] التي ينتمي إليها نظرا لتغير المناخ

[١] "كيريباس هي أكثر البلدان الجزريّة ضعفا في الجزء الغربي من المحيط الهادئ، استقلّت عن المملكة المتّحدة عام ١٩٧٩. يبلغ فيها نصيب الفرد من الدّخل أدنى مستوى له بين جميع جزر المحيط الهادئ ويتوزّع سكّانها بين ٣٣ جزيرة. ويعيش في تاراوا الجنوبيّة (الجزيرة المرجانيّة الرّئيسيّة) نصف سكّان البلد". في:
https://www.wipo.int/wipolex/ar/legislation/details/7546?fbclid=IwAR0DbXVy5jYNde7-51Yl0jullIzIXp_fC6j4lOWlaWpXcpOxLvWvhINR4Qg (Consulté le 12/02/2023).

وارتفاع مستوى سطح البحر. تركّز اهتمامنا على منطقتيْن مختلفتيْ الدّين والعرق واللغة لأنّ المسألة مبدئيّة بالأساس لتعلّقها بالنّوع البشري والتهديدات التي يتعرّض إليها بسبب التغيّرات المناخيّة ؛ ولكن ما يجمعهما هو الانتماء إلى العالم النّامي. فقد سلّم مجلس حقوق الإنسان بأنّ "آثار تغيّر المناخ السلبيّة على حقوق الإنسان تؤثّر في الأفراد والمجتمعات في جميع أنحاء العالم، لاسيما في البلدان النّامية" (مجلس حقوق الإنسان، 14/48، ٢٠٢١: ٢)، فضلا عن أنّ المؤسّسات الدّوليّة[1] نفسها "صارت تدرك جيداً أن البلدان النامية هي الأكثر عرضة للمعاناة من العواقب المترتّبة عن تغيّر المناخ مقارنة بالبلدان المتقدّمة، حتى إنّ الأخيرة هي المسؤولة في المقام الأوّل عن تغير المناخ. وتدرك كذلك أن هذه الظواهر المناخية والبيئية تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على الهجرة وأن البلدان النامية هي في كثير من الأحيان بلدان مغادرة ووصول للمهاجرين" (Béchard, 2018: 7-8). اشتمل البحث على عنصريْن مركزيّيْن حاولنا خلالهما دمج المقاربات النّظرية بالواقع الاجتماعي المعيش. تناول العنصر الأوّل تقديم التّأطير المنهجي للدّراسة مع تحديد الحقل المفاهيمي للبحث ومجاله النّظري. أمّا العنصر الثّاني فقد خصّصناه لتقديم وقائع وأمثلة من العالم النّامي خاضت تجربة الهجرة المناخيّة إثر تعرّضها لكوارث طبيعيّة. ثمّ نختم البحث بعد ذكر نتائجه ومناقشتها.

أوّلاً: الأفق المنهجي والنّظري

رأينا في دراسة أمثلة اتّخذت من الهجرة البيئيّة سبيلا بعد تضرّرها من الكوارث الطّبيعيّة مسألةً جديرةً بالبحث خاصّة مع اقترانها بقضيّة التغيّرات المناخيّة وسياق المخاطر الذي تنتجه. وقد اقتضى هذا الأمر توصيف ملامح كلّ حالة ورصد خصائصها البيئيّة والاجتماعيّة والصّحيّة من خلال معطيات واقعها الاجتماعي. وقد حتّم علينا الرّهان المنهجي اتّخاذ مقاربة سوسيو-ثقافيّة تولي الأهمّية للتجربة المعيشة زمن الكارثة الطبيعيّة والتي ستكون، لا محالة، مشحونة بالدّلالات من خلال كلمات وجمل تحمل الكثير من المعاني. في هذا الصدد، نسعى للإجابة عن السّؤال الرّئيس لبحثنا وهو تتبّع خصوصيّات كلّ مثال بحثيّ وكيف يعيش في حالة الهجرة المناخيّة الدّاخليّة أو الخارجيّة بشكل يومي وما المعنى الذي يُعطيه لأسلوب حياته / يوميِّه الجديد؟ ورصد المخاطر التي تعرّض إليها واكتشاف التباسات اليومي عنده على أرض الواقع كتجربة معيشة وما وضْعُ الحراك الاجتماعي المكاني في تجربته وماهي خصوصيّات الحيوات اليوميّة عنده زمن الفيضان أو ارتفاع مستوى البحر وإثرهما وما مدى تفاعل الأنظمة والمؤسّسات معه كذات غير ثائرة أو مُحتجّة لمطالب اقتصادية بل هي مجرّد ذات باحثة عن الأمن والاستقرار. ستكون قراءتنا نوعيّة تفهميّة قصدَ فهم معاني سلوكيّات هؤلاء المتضرّرين من الكوارث الطبيعيّة وأفعالهم، مع العلم أنّ هذا الفهم لن يكون برصدنا لهم ميدانيّا وإنّما من خلال الاستماع إلى كلماتهم التي سيعبّرون بها عن تجربتهم، وهو ما يعني "العودة إلى عمليّة إنتاج المعنى، والتي يتمّ التّعبير عنها في الدّوافع المختلفة التي يفسّر بها الأشخاص سلوكهم" (Gonthier, 2004: 35).

منحتْ الدّراسة الأولويّة للولوج إلى الميكروسوسيولوجي المنسيّ والمُتجَاوَز من خلال تجارب يوميّة كمدخلات رئيسيّة للفهم لأنّ الواقع حسب "جورج

[1] مثل الأمم المتّحدة (l'Organisation des Nations Unies (ONU)) والمنظمة الدّوليّة للهجرة (l'Organisation internationale pour les migrations (OIM))

زيمل" "موجود في المعيش اليومي" (Simmel, 1993 :23) ؛ ونهضتْ على أربع مقابلات مفتوحة مع رئيسة مجلس إدارة "منظّمة حبر للتّنمية والثّقافة بليبيا" التي أسهمت بإنقاذ المتضرّرين وتقديم بعض المساعدات لهم، ومع ثلاثة متضرّرين من فيضان درنة/ليبيا. اتّخذت المقابلات شكل الاتّصال الهاتفي عن طريق تطبيقة "الواتساب" (WhatsApp) بعد أن جمعنا أرقام المستجوبين من رأسمالنا العلائقي. كان البحث يتطلّع إلى مقابلة عشرة متضرّرين إلاّ أنّ أغلب من اتّصلنا بهم رفضوا التّجاوب مع البحث خوفا من التتبّع من حكومة الشّرق اللّيبي ؛ فاكتفينا بثلاثة متضرّرين فقط بشرط عدم ذكر أسماءهم. دامت كلّ مقابلة قرابة السّاعتين وأحيانا أكثر، فقد كان جميع المُستجوبين حينا يتكلّمون وأحيانا يبكون متألّمين من فقد عزيز عليهم أو من افتقادهم لمنازلهم وأراضيهم وأحيانا أخرى يصمتون ويتنهّدون. كنّا ندوّن كلّ آهاتهم وتعبيراتهم الصّوتية والكلاميّة حتّى نعيد قراءتها فيما بعد لفهمها وسبر خبايا تجربتهم المعيشيّة وكشف درجة تعقيدها ومخاطرها. وقد اضطررنا في غالب الأحيان إلى تكرار تلك الاتّصالات لأنّ المقابلات الأولى كانت مشحونة بالمشاعر أكثر من المعلومات، ممّا اضطرّنا إلى سماعهم دون مقاطعتهم. كرّرنا المقابلات حتّى نتمكّن من الحصول على مادّة مهمّة تمكّننا من التّحليل والنّقاش. أمّا فيما يتعلّق بمثال "يواني تيتيوتا"[1] فقد استندنا إلى تقنية تحليل مضمون "الآراء التي اعتمدتها اللجنة المعنية بحقوق الإنسان بموجب المادة ٥(٤) من البروتوكول الاختياري، بشأن البلاغ رقم ٢٠١٦/٢٧٢٨"[2].

تقاطَعَ في دراستنا كلّ من المقاربة التّفهميّة الفيبريّة وسوسيولوجيا اليومي (Sociologie du quotidien). فأفعال مستجوبينا وكلماتهم هي بالضّرورة انعكاسات لإدراكات ممكنة في أزمنة الكارثة الطبيعيّة وأمكنتها. لذلك، فإنّ اهتمام هذا البحث سينصبّ بالأساس على كلماتهم وسلوكيّاتهم وأفعالهم بما أنّها منتوج رمزي لتفاعلات ماديّة متّصلة باليومي واحتمالاته وديناميكيّته من أجل قراءة واقعهم المركّب. وتشابكت المقاربتان المُشار إليهما أعلاه مع نظريّة الحراك الاجتماعي كظاهرة اجتماعيّة مكانيّة (Phénomène socio-spatiale)، لا سيما وأنّ تحوّل المتضرّرين من الكوارث الطبيعيّة من أماكن عيشهم الأصليّة إلى أخرى مُستقبِلة

[1] "يواني تيتيوتا هو مواطن من كيريباس ولد في السّبعينات. وقد رُفض طلبه في الحصول على صفة اللاجئ في نيوزيلندا. ويدّعي أن الدّولة الطرف انتهكت حقه في الحياة بموجب العهد، وذلك بإبعاده إلى كيريباس في أيلول/سبتمبر ٢٠١٥. وقد دخل البروتوكول الاختياري حيّز النّفاذ بالنّسبة إلى الدّولة الطرف في ٢٦ آب/أغسطس ١٩٨٩. ويمثّل صاحبَ البلاغ محام. وفي ١٦ شباط/فبراير ٢٠١٦، طلبت اللجنة من الدّولة الطرف، عملاً بالمادّة ٩٤ من نظامها الداخلي، وعن طريق مقرّرها الخاص المعني بالبلاغات الجديدة والتدابير المؤقتة، أن تمتنع عن إبعاد صاحب البلاغ إلى كيريباس ريثما تنظر اللجنة في البلاغ". في: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016)، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٠، ص، ٢.

[2] شارك في دراسة هذا البلاغ أعضاء اللجنة التالية أسماؤهم: تانيا ماريا عبدو روتشول، وعياض بن عاشور، وإيلزه براندز كيريس، وعارف بلقان، وأحمد أمين فتح الله، وشويتشي فورويا، وكريستوف هاينز، وبامريم كويتا، ومارسيا ف. ج. كران، ودنكان لاكي موهوموزا، وفوتيني بازارتزيس، وإيرنان كيسادا كابريرا، وفازيلكا سانسين، وخوسي مانويل سانتوس بايس، ويوفال شاني، وإيلين تيغرودجا، وأندرياس زيمرمان، وجينتيان زيبري. ينظر: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016)، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٠، ١٩ص.

يُحدث ديناميكيّة اجتماعيّة باعتبار أنّ "الحركة في الفضاء/المكان تصبح حراكًا عندما تنطوي أيضًا على تغيير اجتماعي" (Maisons, 2009: 154-155). ويعتقد بعض الباحثين ومدرسة شيكاغو أنّ "التنقل الجغرافي، سواء السكني أو اليومي [بما أنّه فعل اجتماعي]، جزء لا يتجزأ من أسلوب الحياة" (Kaufmann, 2021). لذلك، سنسعى من خلال هذا البحث إلى جعل مستجوبينا يقدّمون نوعيّة هذا الحراك في المكان بطريقتهم ومن سياق المخاطر الذي عاشوه في تجربتهم المعيشة مع الفيضان وارتفاع مستوى البحر. واعتمدت الدّراسة مفاهيم إجرائيّة ونظريّة مهمّة للوصف والتّحليل، مثل: اليومي، والتغيرات المناخيّة، والهجرة البيئيّة.

١- أوّلا، إنّ الأهمّية التي يحوزها اليومي هي التي حفّزت هذا البحث باختياره كأساس نظريّ وكمدلول إجرائيّ له. ولكن عن أيّ يومي سنتحدّث؟ هل هو ذلك الثّابت والرّوتيني الذي يتكرّر كلّ يوم من صباحه حتّى مسائه، أي "ما يُنتَج ويُعاد إنتاجه خلال اليوم" حسب جورج بلانديه (Balandier, 1983: 5)؟ ؛ أم هو ذلك الدّيناميكي والمتحرّك والمختلف باختلاف التّجارب اليوميّة أين يكون للفرد وجود في عالم الحياة اليوميّة وفقا للفيلسوف التّونسي فتحي التّريكي (التّريكي، ٢٠٠٩، ٦٩)؟ وهل هو ذلك المخترق للّحظة الرّاهنة/الحاضرة والمرتحلة من زمن الحاضر إلى نظيره الماضي عبر مركبة التخيّل واستحضار متواصل للذّاكرة وتمثّل للقيم والهويّة والانتماء، ففي "الذاكرة والمخيال والأمكنة والعلاقات تنبني سوسيولوجيا المعيش، وتنكشف حقيقة الأفعال الاجتماعية" حسب بشرى زنّاد (Zannad, 2006: 15)؟ وهل هو ذلك الفارغ من المعاني والمارق عن المحدّدات الاجتماعيّة والمنصهر في اللاانتماء باعتباره "منفلتا، وينتمي إلى التّافه، والتّافه بلا حقيقة وبلا واقع وبلا سر، ولكنّه ربّما يكون أيضا موقعا لتشكّل كلّ دلالة ممكنة" (Blanchot, 1969: 305)؟ وهل هو تلك الزّلات والأغلاط المُنسَابة من اللاوعي حسب فرويد (Freud, 1901: 59-60)؟ وهل هو ذلك المعنوي غير القابل للقياس "المنفلت من كل ما هو موضوعي وقياسي" (Maffesoli, 1979: 14)؟ وهل هو تلك الأقنعة التي يتخفّى وراءها الفرد المتحدّث أو المتصرّف في موقف ما وفقا لوضعيّة معيّنة حسب غوفمان (Goffman,1973: 12)؟ إنّ اليومي باختصار هو ذلك الذي يتفاعل ضمنه الأنا مع الآخر كأساس لديناميكيّة الحياة الاجتماعيّة وأحداثها. فكيف سيكون اليومي في تجربة مستجوَبينا المعيشة للكوارث الطبيعيّة؟

٢- ثانيا، يمكن أن نُطلق على مفهوم التّغيّر المناخي مصطلحات أخرى مثل الاضطراب العالمي. وتستخدم هذه المصطلحات لوصف التغيّر في الظواهر المناخيّة مثل زيادة وتيرة موجات الحر، وغياب الهطول أو زيادته، وتزايد وتيرة العواصف والأعاصير... وتعرّفه اتّفاقيّة الأمم المتّحدة الإطاريّة المتعلّقة بتغيّر المناخ "بأنّه تغيّر في المناخ يُعزى بصورة مباشرة وغير مباشرة إلى النّشاط البشري الذي يُفضي إلى تغيّر في تكوين الغلاف الجوّي العالمي، والذي يلاحظ، بالإضافة إلى التّقلّب الطّبيعي للمناخ، على مدى فترات زمنيّة متماثلة" (مجلس حقوق الإنسان الدّورة العاشرة، ٢٠٠٩: ٥). كان "فون هومبولت" (Alexandre Von Humboldt, 1769-1859) أوّل من صاغ فرضيّة مفادها أنّ تغير المناخ يمكن أن يكون ناجماً عن النشاط البشري (Humboldt, 1807: 169)، غير

أنّ هذا التنبّؤ تمّ إخماده خاصّة بعد أن خَلُصَ "صامويل فوري" (Samuel Forry, 1842) في كتابه "مناخ الولايات المتحدة وتأثيراته المتوطنة" (The Climate of the United States and its Endemic Influences)، إلى أنّ أولئك الذين تحدّثوا عن ارتفاع درجة حرارة البلاد كانوا مخطئين (Mouhot, 2012: 26). ومن عجيب المفارقات التاريخية أنّه، في حين كانت ظاهرة الانحباس الحراري العالمي جارية تحت تأثير الثّورة الصّناعيّة والزّيادة في انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، اتّفق العلماء، على نحو متزايد آنذاك، على أنّ تقلّبات المناخ كانت راجعة إلى عوامل طبيعيّة وغير بشريّة. وقد هيمن هذا النموذج على العلم لأكثر من مائة عام (Mouhot, 2012: 26). وفي نهاية القرن التّاسع عشر، تعرّض "سفانتي أرينيوس" (Svante Arrhenius, 1896) لظاهرة الاحتباس الحراري واكتشف أنّ ثاني أكسيد الكربون يحتفظ بالحرارة النّاتجة عن الإشعاع الشّمسي، ممّا يؤدي إلى ارتفاع درجات الحرارة. ورأى أنّ مضاعفة كمّية ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي تُعادل زيادة متوسط درجة الحرارة بمقدار ٥ درجات (Svante, 1896: 237-276). في بداية القرن العشرين، ومنذ أن استخدم غوستاف إيكهولم (Gustaf Ekholm, 1901) مصطلح "تأثير الاحتباس الحراري" لأوّل مرّة لوصف الظاهرة، تمّ العبور من لحظة الجهل بظاهرة التّغيرات المناخيّة إلى لحظة الوعي بها ؛ وأصبح موضوع تغير المناخ موضع نقاش عام، خاصّة بعد حدوث الحرب العالميّة الثانية وأثناء الحرب الباردة، حتّى اجترأت الولايات المتّحدة على الاستثمار بكثافة في أبحاث الغلاف الجوّي، مع القيام بمحاولات أولى لتعديل المناخ بشكل مصطنع. في ذلك الظّرف، عاد الباحثون من جديد إلى قراءة أعمال "أرينيوس" واكتشافها، إلى أن أعرب، في عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧، ثلاثة علماء من أمريكا الشمالية هم جيلبرت بلاس (Gilbert Plass)، وروجر ريفيل (Roger Revelle)، وهانز سوس (Hans Suess)، عن قلقهم من تراكم ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي. وبذلك تمّ قرع ناقوس الخطر لأول مرة (Mouhot, 2012: 27). ومع نهاية ستينات القرن العشرين، حدث تحوّلٌ على مستوى الوعي بمسألة الانحباس الحراري العالمي وعلاقته بزيادة تركيز ثاني أكسيد الكربون ؛ فلم يعد الموضوع علميّا فحسب، بل أصبح مصدر قلق دولي وسياسي لمختلف البلدان، ولا سيما مع قمّة الأرض (١٩٧٢) التي عرّفت ظاهرة الاحتباس الحراري وعواقبها. ثمّ أنشئت الهيئة الدّولية المعنيّة بتغيّر المناخ عام ١٩٨٨ بالاشتراك بين برنامج الأمم المتّحدة للبيئة (United Nations Environment Program: UNEP) والمنظمة العالميّة للأرصاد الجويّة (World Meteorological Organisation: WMO) لتقديم آراء علميّة واضحة للعالم بشأن الحالة الرّاهنة للمعارف في مجال تغيّر المناخ. ثمّ برز التّقرير الأوّل للفريق الحكومي الدّولي المعني بتغيّر المناخ سنة ١٩٩٠. وبالتّوازي، اهتمّت المقاربة السّوسيولوجيّة اهتماما مخصوصا بمسألة التغيّرات المناخيّة كموضوع اجتماعي متداخل الأبعاد. في هذا الصّدد، قدّم "جان جاي فايلانكور" (Jean-Guy Vaillancout) من جامعة مونتريال/كندا (Guilbeault Steven et Jean-Guy Vaillancourt, 2003: 157-172) ملخّصا حول المسائل الرّئيسيّة التي تمّت مناقشتها في إطار بروتوكول كيوتو، لتوضيح دور المنظمات غير الحكوميّة

خلال هذه المفاوضات ومناقشة تأثيرات تغيّر المناخ بشكل موجز، لا سيما على مستوى الصحّة البشريّة. وتناول سوسيولوجيّون فرنسيّون قضايا الظواهر الجويّة المتطرّفة التي كان لها تأثير عميق على بلادهم، وخاصة منها موجة الحرّ التي لا تُنسى في عام ٢٠٠٣، وعاصفة "كزينتيا" (Xynthia) عام ٢٠١٠. ومع ذلك، فإنّ العمل الذي قامت به "فلورنس رودولف" بجامعة ستراسبورغ (Florence Rudolf, 2009)، والذي يقترح إقحام علم الاجتماع لدراسة موضوع مثل تغيّر المناخ[1] يعُتبر من أهمّ المواضيع. فقد أشارت أيضا إلى أنّ التّغيّر المناخي يحدث تدريجياً في حياتنا وأنّ سياسات التّخفيف والتكيّف مع تغيّر المناخ هي الاستجابة الرئيسيّة التي يجب على الحكومات تطويرها بالفعل (Rudolf, 2012) وأنّ خطر الانحباس الحراري العالمي المتسارع لم يعد مجرّد مسألة علميّة، بل أصبح أيضا مسألة اجتماعية كبرى (Rudolf, 2009: 144). امتدّ سياق الاهتمام نفسه ليشمل المنطقة العربيّة ؛ فأجرى "عبد العالي غورفي" تشخيصا للغطاء النّباتي بمدينة مراكش/المغرب ودرس التطوّر المكاني والزّماني للغطاء النّباتي في المدينة مع أخذ علاقته بالعمران والسّياسات العمرانيّة بعين الاعتبار ؛ كما خصّص جزءًا كبيرًا من التّحليل لذكر تأثير الغطاء النّباتي ونوع النّباتات والقرب من المتنزهات في الجزر الحراريّة الحضريّة (Gourfi, 2022). وهكذا تتالت البحوث العلميّة الأكاديميّة وتعاقبت المؤتمرات من "ريو" عام ١٩٩٢، مرورا باتّفاقيّة باريس (٢٠١٥) التي تعهّدت تجاهها تونس وأبدت عزمها على إدراج موضوع التّأقلم مع التغيّرات المناخيّة ضمن قائمة أولويّاتها (نشريّة التغيّرات المناخيّة، ٢٠٢٢: ٢)، وصولا إلى قمّة المناخ كوب ٢٩ بباكو/أذربيجان سنة ٢٠٢٤ من أجل البحث في إمكانيّة إنهاء استخدام الوقود الأحفوري للتّخفيف من إفرازات غازات الدّفيئة، والإسهام في التّقليل من الكوارث الطبيعيّة التي ما انفكّت تبرز من فترة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر، ولتوفير مناخ آمن ومستدام.

٣- ثالثا، يُقصدُ بالهجرة البيئيّة "حركة الأشخاص أو مجموعات الأشخاص [المهاجرين البيئيّين] الذين يضطرّون، بشكل أساسي لأسباب تتعلّق بالتغيّرات المفاجئة أو التّدريجيّة في البيئة والتي تؤثّر سلبًا على حياتهم أو ظروفهم المعيشيّة، إلى مغادرة مكان إقامتهم المعتاد، أو اختاروا القيام بذلك، بشكل مؤقّت أو دائم، والذين ينتقلون داخل أو خارج بلدهم الأصلي أو مكان إقامتهم المعتاد" (OIM, 2019). أمّا الهجرة المناخيّة فهي فئة فرعيّة من الهجرة البيئيّة تحدّد نوعاً فريداً من تلك الهجرة، حيث يكون التّدهور البيئي عائدا بالأساس إلى تغيّر المناخ. فقد ثَبتَ في عدّة مناسبات وجودُ علاقة كبيرة بين التّدهور البيئي وتغيّر المناخ وزيادة تحرّكات السكان (Rigaud, 2018).

[1] Par exemple, Amy Dahan Dalmedico, Hélène Guillemot, Changement climatique : Dynamiques scientifiques, expertise, enjeux géopolitiques. Sociologie du Travail, 2006, 48 (3), pp.412-432. https://hal.science/hal-03825648/document (Consulté le 06/02/2024) ; Comby, Jean-Baptiste, 2008. Créer un climat favorable. Les enjeux liés aux changements climatiques : valorisation publique, médiatisation et appropriations au quotidien. Thèse de doctorat en sciences de l'information et de la communication, Université Paris 2, Paris.

بدايةً من عام ١٩٧٦، كان كل شخص ينتقل من مكان إلى آخر بسبب تدهور بيئي يسمّى "لاجئا بيئيا" (Brown, 1976). وينطبق هذا المدلول، في اتّفاقية "جينيف" لعام ١٩٥١ في المادّتين (١) و (٢)، على "أيّ شخص يخشى من التّعرّض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيّته أو انتمائه إلى فئة اجتماعيّة معيّنة أو آرائه السياسيّة، ويكون خارج البلد الذي يحمل جنسيّته ولا يستطيع أو لا يريد بسبب هذا الخوف المطالبة بالحماية من هذا البلد، أو من لم يكن لديه جنسيّة وكان خارج البلد الذي كان يقيم فيه عادة بعد هذه الأحداث، فلا يستطيع أو لا يريد، بسبب الخوف المذكور، العودة إلى هناك" (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ١٩٥١، في: Béchard, 2018 : 21). لا يأخذ هذا التّعريف بعين الاعتبار وبشكل صريح اللاّجئَ بسبب ظروف بيئيّةٍ أو مناخيّةٍ بقدر ما كان يربط اللجوءَ بموجب هذه الاتّفاقيّة بالتعرّض إلى الاضطهاد. وفي هذه الحالة، "لا يتعرّض المهاجرون للاضطهاد بسبب البيئة أو تغيّر المناخ" (Gemenne et autre, 2010: 84–91). ونتيجة لذلك، فإنّ مصطلحيْ "اللاجئين البيئيّين" و"لاجئي المناخ" ليس لهما أساس قانوني في حدّ ذاتهما في القانون الدّولي للاّجئين لأنّ معظم الهجرات المرتبطة بالعوامل البيئيّة لا تحدث في غالب الأحيان إلاّ عبر مسافات قصيرة داخل نفس البلد، على الرّغم من ملاحظة بعض الحالات من الهجرات البيئيّة الدّوليّة. وبالتّالي فإنّ تسمية "لاجئ بيئي" لا يمكن الاعتراف بها أو تطبيقها إلا في حالة الحركة عبر الحدود، وهي أقلية صغيرة من النّازحين بيئيّا (Gemenne et autre, 2010: 84–91). ولكن في النّهاية، وقع منح صفة اللاجئ للنّازحين في سياق تغيّر المناخ والكوارث الطبيعيّة على إثر صدور المادة ١ (٢) (Béchard, 2018: 21–22) من اتفاقيّة منظمة الوحدة الإفريقيّة المعتمدة في عام ١٩٦٩ (المعروفة باسم اتفاقيّة منظمة الوحدة الإفريقيّة بشأن اللاجئين)، ووفقًا للمبادئ التّوجيهيّة التّفسيريّة لمفوّضيّة الأمم المتّحدة السّامية لشؤون اللاجئين عام ٢٠١٧ (Béchard, 2018: 24). لم يكن الاعتراف باللاجئ النّازح في سياق تغيّر المناخ مطلقا، بل كان منح تلك الصّفة (لاجئ) والاعتراف بها استثنائيا إلى حدّ ما، لأنّ المصطلح مقيّد إلى حدّ كبير من حيث الأسباب الكامنة وراء النّزوح والطبيعة الدّوليّة للحركة/النّزوح. ولذلك تظلّ هذه التّسمية مقتصرة عادة على مجال القانون الدّولي للاجئين. ولا ننسى أن نشير إلى الإجماع النّسبي الذي انعقد بين جملة من الخبراء والباحثين والهيئات الدّولية ذات الصّلة، بما في ذلك المفوّضيّة السّامية للأمم المتّحدة لشؤون اللاجئين، على ضرورة تجنّب استخدام مصطلحيْ "لاجئي المناخ" و"لاجئي البيئة" حتى لا يقع إضعافُ النّظام القانوني الدّولي القائم لحماية اللاجـــئين (Béchard, 2018: 24).

وبما أنّ كلّ لاجئ هو مهاجر، وكلّ مهاجر ليس بالضرورة لاجئًا (Morel et autre, 2012: 61–84)، اقترحت المنظمة الدّوليّة للهجرة (٢٠١١) لعدّة سنوات تعريفًا عمليّا عامّا للتّنقّل البشري البيئي لفهم القضايا بشكل أفضل ؛ وهو الآتي ذكره : "المهاجرون البيئيّون هم أشخاص أو مجموعات من الأشخاص الذين يضطرّون، لأسباب مرتبطة بشكل رئيسي بتغيّر بيئي مفاجئ أو تدريجي له تأثير سلبي على حياتهم أو ظروفهم المعيشيّة، إلى مغادرة منزلهم المعتاد أو تركه بمبادرة منهم، بشكل مؤقّت أو دائم، والذين، نتيجة لذلك، ينتقلون داخل بلدهم أو يغادرونه"

(Béchard, 2018: 24–25). بناءً على ما ذُكِرَ حول مدلول الهجرة البيئيّة، نقول إنّ ديناميكيّات المناخ قد مثّلت نافذة مهمّة للنّقاش سواء على السّاحة الدّوليّة أو على مستوى الإنتاج العلمي (El-Hennawi, 1994: 6–9) ؛ وصارت نقطة تحوّل مهمّة في العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين لاسيما في خضمّ تمفصل الهجرة البيئيّة بتغيّر المناخ. لهذا سيكون هذا المفهوم جوهريّا في دراستنا الحالية، إذ سنقدّم من خلاله قراءة لدلالات اليومي لأمثلة بحثنا في تداخل مع نقاشات اشتغلت على موضوع الهجرة البيئيّة وتغيّر المناخ.

ثانياً: يوميٌّ مهاجري المناخ: دراسة ميدانيّة:

في المثال الأوّل لدراستنا الميدانيّة، سننقل للقارئ من خلال تقنية تحليل المضمون ما تحمله "الآراء التي اعتمدتها اللجنة المعنيّة بحقوق الإنسان بموجب المادّة ٥(٤) من البروتوكول الاختياري، بشأن البلاغ رقم ٢٠١٦/٢٧٢٨" (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠) من دلالات ومعاني لتجربة "يواني تيتيوتا" مع اليوميّ وسياق مخاطر التغيّرات المناخيّة. لم يكن حضور مثالنا في اليوميّ وحضور اليوميّ فيه مجرّد حياة عاديّة هادئة بل كان مجرّد انتماء يُفصح يوما بعد يوم عن تهديدات لحياته. فلم تتمظهر الحياة اليوميّة عنده "في جانبها السّكوني (...) تنتج بالتّدريج الألفة، أي ألفة الأشياء والنّاس وألفة المحيط والمشاهد والأماكن وألفة العوائد والعادات والتّقاليد" (مافيزولي، ٢٠١٠، ص: ٩٦) ؛ بل كانت حياة هائجة ديناميكيّة تتحرّك في إطار التّدهور البيئي، يتلاعب ببوصلة حركتها اضطراب النّسق البيئي بسبب التّغيّرات المناخيّة، وتحكمها علاقات من الآمال والمخاوف. "لقد غدا الوضع في "تاراوا" "غير مستقر على نحو متزايد بسبب ارتفاع مستوى سطح البحر من جراء الاحترار العالمي. وأصبحت المياه العذبة نادرة بسبب التلوث بالمياه المالحة والاكتظاظ في تاراوا. وكانت محاولات التّصدّي لارتفاع مستوى سطح البحر فاشلة إلى حدّ كبير. وقد تآكلت الأراضي الصّالحة للسّكن في تاراوا، ممّا أدّى إلى أزمة سكن ومنازعات على الأراضي تسبّبت في وفيات عديدة. وهكذا أصبحت كيريباس بيئة عنيفة لا يمكن [لمثال دراستنا] وأسرته العيش فيها" (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠: ٢). في سياق هذه المخاطر البيئيّة تراءى لنا اليوميّ لـــ"يواني تيتيوتا" في شكل المنفّر من الحياة لا المرغّب فيها. فلم تكن له حياة واحدة بل كانت مجموعة من الحيوات المتحرّكة وغير الثّابتة وغير المتشابهة. ولاحَ لنا فيها مارقا من حدود الاستقرار والهدوء. فبعد أن وُلِدَ في جزيرة تقع في شمال تاراوا تستغرق الرحلة إليها عدّة أيام بالقارب وقضّى طفولته وأكمل تعليمه الثانوي وحصل على عمل في شركة تجارية هناك، كان قد انتهى عمله في تلك الشّركة في منتصف التسعينيات عندما زالت الشركة، و لم يتمكّن من العثور على عمل منذ ذلك الحين. فانتقل عام ٢٠٠٢، وزوجته للعيش مع أسرتها في بيت تقليدي في قرية في تاراوا. (...) ومنذ أواخر التّسعينات أيضاً، عانت تاراوا مقدارا كبيرا من التآكل الساحلي عند ارتفاع المدّ. كانت المياه تغمر سطح الأرض بانتظام، بل كان ارتفاعها قد يصل إلى مستوى الرّكبة عند علوّ المدّ على نحو خاص. (...) سبّبت هذه الحالة مشقّة كبيرة لمثال بحثنا ولسكان الجزيرة الآخرين. وأصبحت الآبار التي يعتمدون عليها مالحة. وأدّى ترسّب المياه المالحة في الأرض إلى إتلاف المحاصيل. وجُرّدت الأرض من غطائها النّباتي في أماكن كثيرة، وغدا من

الصّعب زراعة المحاصيل. في سياق هذا الاضطراب البيئي العائد أساسا إلى التّغيّرات المناخيّة، كانت أسرة "يواني تيتيوتا" تعتمد إلى حدّ كبير على أنشطة الكفاف من صيد الأسماك والزّراعة. وكثيراً ما كان الجدار البحري المقابل لمترل أصهاره يتصدّع ويتطلّب إصلاحاً مستمراً (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠: ٣). تبدو سياقات اليومي لـــ"يواني تيتيوتا" محفوفة بكثير من التّهديدات ومحشوّة "بالدّلالات" (Garfinkel Harold, 1967: 32) المُنذرة بالخطر لاسيما بعد "أن بلغه من مصادر إعلامية أنّ بلده لا مستقبل فيه" (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠: ٣)؛ فكانت مُدركاته الحسيّة والذّهنيّة مُحذّرة حتّى من فعل الانجاب خوفا على حياة أطفاله مستقبلا، فقرّر السّفر إلى نيوزيلاندا بحثا عن الاستقرار هناك وتكوين عائلة.

في مسارات اليوْمِيّ غير المستقر وتقاطعاته، أنتج هذا الشّخص الاجتماعي في ذلك الزّمن الاستثنائي تسوية مع محيطه البيئي المضطرب سمحَت له بالمقاومة من أجل التّغيير. وتدبّر يوْميّه وفقا لسلطة تعاطيه مع الواقع ؛ فاختار الهجرة. وفي عام ٢٠٠٧، وصل "يواني تيتيوتا" وزوجته إلى نيوزيلندا، وأنجبا ثلاثة أطفال هناك، رغم أنّه لا يحق لأيّ من هؤلاء الأطفال الحصول على الجنسيّة في نيوزيلندا. وظلّ أفراد الأسرة في ذلك البلد دون إذن بعد انتهاء صلاحيّة تصاريح إقامتهم في ٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٠. ثمّ قدّم "يواني تيتيوتا" بمساعدة محامٍ (في ٢٤ أيار/مايو ٢٠١٢)، طلباً في محكمة الهجرة والحماية للاعتراف به كلاجئ و/أو شخص مشمول بالحماية، وقد استند في ملفّ شكايته/بلاغه إلى شهادات متعدّدة تؤكّد التّدهور البيئي في بلده الأم بسبب التغيّرات المناخيّة مثل شهادة برنامج العمل الوطني لكيريباس للتّكيّف عام ٢٠٠٧[1]، وشهادة أخرى للخبير "جون كوكوان" الذي كان في تلك الفترة مرشّحا لنيل شهادة الدّكتوراه في بحوث تغيّر المناخ في كيريباس[2]، وعدّة مقالات علميّة صادرة عن منظمات الأمم المتّحدة وخبرائها، فضلا عن شهادته وزوجته الشّفويّتين اللتيْن سَرَدَتَا يوميّهما المشترك والغارق في مخاطر عديدة بيئيّة وصحيّة. لم يذكر التّقرير إن كان الشّاهدان المتضرّران رافِعَا الدّعوى قد استخدما اللغة الفصحى أو العاميّة، بل كلّ ما ذكره أنّهما كانا يتحدّثان بحضور المحامي وبمساعدة مترجم شفوي فوري (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠:

[1] عرض برنامج العمل مجموعة من المشاكل الناشئة عن الآثار الحالية والمتوقعة للأحداث والعمليات المتصلة بتغير المناخ. ومن بين آثار تغير المناخ، كان هناك احتمال كبير لأن يؤثر تآكل السواحل والنظم؟ على المساكن والأراضي والممتلكات. وفي جنوب تاراوا، أقيم ٦٠ جداراً بحرياً بحلول عام ٢٠٠٥. بيد أن العواصف العاتية وارتفاع المد الربيعي تسببت في فيضانات في المناطق السّكنية، مما أجبر بعض السكان على الانتقال والنزوح إلى مناطق أخرى. وتبذل محاولات لتنويع إنتاج المحاصيل. ومعظم المحاصيل المغذية متوفرة ويمكن تحويلها إلى أغذية تحفظ على مدى آجال طويلة. غير أن صحة السكان قد تدهورت عموما، كما يتبين من حالات نقص الفيتامين "ألف" وسوء التغذية والتسمم بالأسماك وغير ذلك من الأمراض التي تعكس حالة انعدام الأمن الغذائي. في: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016) ... مرجع سابق، ص، ٢.

[2] يقدم تقرير السيد كوركوران الكتابي مشفوعا بتعليقات صاحب البلاغ. وهذا التقرير المعنون "أدلة على آثار تغير المناخ في كيريباس"، يتضمن صوراً تبرز، في جملة أمور، غرق المنازل بعد ارتفاع المد، وضآلة الغطاء النباتي للأراضي، وخرق أحد الجدران البحرية، وانجراف القمامة إلى الشاطئ. في: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016) ... مرجع سابق، ص، ٣.

٦) وهو ما يعني أنّهما اتّخذا من العامّية سبيلا حتّى يتمكّنا من إبراز الجوانب الذّاتيّة والنّفسيّة بواسطة سلطة المهارة التي يكتسبانها في استخدام لهجتهما قصد إقناع المحكمة بمطلبهما في اللجوء. وقد ركّز كلاهما في مضمون شهادتيهما على ذكر تفاصيل ووقائع تخصّ الطّفولة وأيام الدّراسة وتجربتيْ العمل والبطالة، وظروف إقامتهما في منزل الأصهار، معبّريْن في الأثناء عن الضغوط السّكانيّة والبيئيّة والمخاطر الصحيّة من قبيل وفاة عدد من الأطفال بسبب تلوّث مياه الشّرب وسوء نوعيّتها[1]. نستحضر في هذا الصّدد "كيف يمكن أن يتأثر تصوّر الآخرين بتمثلات الممارسات اللغوية، وطريقة الكلام، و"اللّكنة" (L'Accent)، وما إلى ذلك" (Labov, 1976). فقد باحت كلماتهما بمعيش منطوق قائم على رأسمال ألسني حسب تعبير "بيار بورديو"، وسلطة كلاميّة نابعة من عمق تجارب معيشة وأحداث واقعيّة؛ إلاّ أنّ كفاءتهما التواصليّة لم تتوفّق في التّأثير على ممثّلي المحكمة. من ذلك أنهم قد لاحظوا أنّ قول زوجة صاحب البلاغ يتضمّن الخشية والخوف من إمكانيّة غرق أطفالها الصغار في حادث مدّ وجزر أو عاصفة، "بيد أنّه لم تقدَّمْ أدلّةٌ تثبت أن حالات الوفاة النّاجمة عن هذه الأحداث متواترة بحيث ترفع احتمال وفاة صاحب البلاغ أو أفراد أسرته إلى مستوى يتجاوز التّخمين والظن، ناهيك من خطر يمكن وصفه بالحرمان التعسفي من الحياة" (الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠: ٥).

وخلاصة القول أن يوميّ "يواني تيتيوتا" لم يهدأ، حتّى بعد السّفر إلى نيوزيلاندا وتقديم مطلب اللجوء ؛ بل ظلّ التغيّر يطارده والدّيناميكيّة حليفته. فقد خلصت المحكمة "بعد تحليل مطوّل للمعايير الدّولية لحقوق الإنسان، إلى أنّ صاحب مطلب اللّجوء لا يواجه بصورة موضوعيّة خطرا حقيقيّا بأن يُضطهد إذا ما أعيد إلى كيريباس" (نفسه: ٤). وفي ١٥ أيلول/سبتمبر ٢٠١٥، احتُجز "يواني تيتيوتا" وصدر أمر بالترحيل (نفسه: ٦). ورفض وزير الهجرة طلب صاحب البلاغ إلغاء قرار إبعاده في ٢٢ أيلول/سبتمبر ٢٠١٥. نستحضر هنا تعريف المنظمة الدّولية للهجرة وتفسير أحكام الاتفاقيات الدولية والإقليمية، اللذيْن يُقرّان بأنّ المهاجرين البيئيين أو المناخيين الذين عبروا الحدود الدّولية لا يتمتّعون بالحماية بموجب القانون الدّولي للاّجئين، وهم بالتالي لا يتمتّعون بحماية مبدأ عدم الإعادة القسرية. وهكذا، يمكن لأي دولة أن تعيد هؤلاء الأشخاص بشكل قانوني إلى بلدهم الأصلي أو مكان إقامتهم المعتاد طالما أنهم يعبرون الحدود بشرط ألا يكونوا محميّين بإطار قانوني دولي آخر مثل حقوق الإنسان (Béchard, 2018: 25).

تبدو الحياة الاجتماعيّة لـــ"يواني تيتيوتا" "متفجّرة ممّا جعلها متعدّدة" (Maffesoli, 1979: 14). ونقصد بالمتفجّرة انبثاق حياة من أعقاب حياة أخرى وأحداث على إثر أحداث سبقتها ؛ فيُولَجُ اليومي في مجموعة من اليوميّات ويتداخل الهدوء في الفوضى والسلام في اللاّسلام. قد يُسبّب تواتر العقبات في يوميّات "يواني تيتيوتا" القلق والضّغط النّفسي إلاّ أنّه لم يستسلم لصعوبات حاضره

[1] اكتظاظ سكني كبير في تاراوا بسبب تركّز معظم الخدمات الحكوميّة فيها. الإشارة إلى التآكل السّاحلي وارتفاع مستوى علوّ المدّ وترسّب المياه المالحة واتلاف المحاصيل الزراعية ... إلخ. في: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016) ... مرجع سابق، ص، ٣-٤.

المعيش المُخضرم وواصل مسار المقاومة فقدّم شكوى ضدّ نيوزيلاندا بسبب ترحيله، مدّعيا "أنّها قد انتهكت، بإبعاده إلى كيريباس، حقّه في الحياة بموجب العهد[1]. فقد أدّى ارتفاع مستوى سطح البحر في كيريباس إلى تقلّص المساحات الصالحة للسّكن، مما أسفر بدوره عن نزاعات عنيفة على الأراضي تشكل خطرا على حياة صاحب البلاغ، وعن تدهور البيئة وتلوّث إمدادات المياه العذبة بالمياه المالحة" (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠: 6)، في حين توصّل أعضاء اللجنة في هذه القضية، [إلى أنّه] لا يوجد دليل على أنّ صاحب البلاغ قد تعرّض لخطر وشيك بحرمانه تعسفاً من الحياة عند إبعاده إلى كيريباس. (...) ؛ كما أنّه لا يوجد دليل على أنّ حالته تختلف اختلافاً جوهرياً عن حالة سائر النّاس في كيريباس. وقد أكدت السّلطات المحليّة أنّ استنتاجاتها ينبغي ألا تُفهم على أنّها تعني أنّ التّدهور البيئي الناجم عن تغيّر المناخ لا يمكن أبداً أن يفتح مسلكا قضائيا للأشخاص المشمولين بالحماية. ومع ذلك، رأت السّلطات أن صاحب البلاغ وأسرته لم يثبتوا أنّهم في هذا المسلك" (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠: 7). ما تزال المعركة متواصلة ؛ فلم ينحصر اليوميّ في فعل المقاومة بين صاحب البلاغ والتّدهور البيئي فحسب، بل تحوّل إلى ثنائيّة الصّراع بينه وبين الدّولة الطّرف المضيفة : نيوزيلاندا. فقدّم مطلبا للاستئناف ورُفِض واستمرّ الجدال بين تقديم الحجج ورفضها (الأمم المتّحدة CCPR/C/127/D/2728/2016)، ٢٠٢٠: 7-15)؛ إلاّ أنّ المحكمة ظلّت متمسّكة بموقفها رغم أنّ صاحب البلاغ قدّم حججا أخرى لدعم قبول الطّعن على قرار رفض اللجوء مثل الاستعانة ببعض التّقارير[2] والإشارة إلى المخاطر الصحية التي تعرّض إليها وعائلته بعد عودته إلى كيريباس[3]، فضلا على اتّخاذه، لغرض المقارنة، أمثلة لأشخاص طلبوا اللجوء وقُبِلَ طلبهم[4]. ورغم بروز مرفقات

[1] يُقصَدُ بالعهد تعهّد الدول الأطراف بحق كلّ شخص في مستوى معيشي كاف له ولأسرته يوفّر ما يفي بحاجياتهم من الغذاء والكساء والمأوى ... وتتعهّد تلك الدول باتّخاذ التّدابير اللاّزمة لإنفاذ هذا الحق. وبناء على منجزات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فقد دخل حيز النفاذ في عام ١٩٧٦ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

[2] Overseas Development Institute and Climate and Development Knowledge Network, “The IPCC’s Fifth Assessment Report: what’s in it for small island developing States?” (2014) ; in : https://cdkn.org/sites/default/files/files/IPCC-AR5-Whats-in-it-for-SIDS_WEB.pdf (Consulté le 24/02/2024).

[3] أكد صاحب البلاغ في تعليقاته المؤرخة ٢٥ تموز/يوليه ٢٠١٦ أنه عانى وأسرته من "مشاكل صحية خطيرة بقدر معقول" منذ عودتهم إلى كيريباس في أيلول/سبتمبر ٢٠١٥. فقد أصيب أحد أطفاله بتسمم دموي خطير، أسفر عن ظهور بثور في جميع أنحاء جسمه. زد على ذلك أن صاحب البلاغ وأسرته غير قادرين على زراعة المحاصيل. في: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016) ... مرجع سابق، ص، ١٦.

[4] مثل قضية ز. هـ. ضد أستراليا (CCPR/C/107/D/1957/2010)، الفقرة ٨-٤. وقضية يونغ - كوان كيم وآخرين ضد جمهورية كوريا (CCPR/C/112/D/2179/2012)، حيث اعتبرت اللجنة أن ادعاءات أصحاب البلاغ مدعمة بأدلة كافية لجعلها مقبولة. ينظر: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016) ... مرجع سابق، ص، ٨.

آراء فرديّة مُخالفة كانت قد تفاعلت مع مطلب صاحب البلاغ وأيّدت حقّه في الحصول على اللّجوء، تعنّتت اللّجنة وتمسّكت برفض الطّعن الذي قدمه "يواني تيتيوتا".

انتهت رحلة الهجرة المناخيّة لـــ"يواني تيتيوتا" من بلده كيريباس في اتّجاه نيوزيلاندا بالعودة من جديد إلى اليومي اللامستقر وغير الثّابت في ظلّ تنوّع أشكال التّدهور البيئي وتعدّدها في بلده. وتكشف هذه العودة عن يوميٍّ لا يتعدّى حدود التّكرار المسبّب للتوتّر النّفسي والقلق. ويمكن فهم القلق هنا بحسب "نوربار سيلامى" على أنّه "قلق شديد، وخوف غير عقلاني. إنّه إحساس مؤلم بعدم الارتياح العميق، يحدّده الانطباع المنتشر بوجود خطر غامض ووشيك يظل الشّخص أمامه متروع السّلاح وعاجزا" (Sillamy, 2010 :24).

بعد أن وصّفنا ملامح المعيش اليومي لمثال "يواني تيتيوتا" الذي التمس اللّجوء المناخي في نيوزيلاندا إلاّ أنّ مطلبه قوبِل بالرّفض واعتبر ذلك انتهاكا لحقه في الحياة بموجب العهد[1]، سنمرّ إلى خصوصيّات معيش يومي ثانٍ عن تجربة هجرة داخليّة. في هذا الصّدد، تسرد لنا مستجوبتنا[2] أحداثا حاضرة وأخرى ماضية عن تجربتها مع كارثة بيئيّة كشاهدة أو كمُسْهِمَة في الإنقاذ على حد سواء.

في العاشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٢٣، حملت عاصفة "دانيال" المتوسّطيّة إلى منطقة الجبل الأخضر[3] بشرق ليبيا أمطارا استثنائيّة بلغت حدود ٤٠٠ملم ممّا تسبّب في مخاطر حقيقيّة كانهيار السّدود واقتلاع المنازل من قواعدها وجرف المواطنين إلى قلب البحر الهائج بدوره أو غمرهم تحت الطمي. "قبل الكارثة كانت أغلب مناطق الجبل الأخضر تغرق في الشّتاء لخصوصيّاتها المناخيّة. هي منطقة جبليّة تشتدّ فيها البرودة أيّام الشّتاء وتهطل فيها الأمطار فيتعرّض المتساكنون إلى بعض من القلق والضّغوطات اليوميّة الظّرفيّة بسبب اضطراب الحركة المروريّة نظرا لرداءة البنية التّحتيّة وتسرّب المياه إلى المنازل خاصّة منها صغيرة الحجم (أغلبها طوابق سفليّة) وتنفذ المياه إلى أغلب السّيّارات. ولكن تمرّ هذه الأزمة عادة بمجرّد توقّف الأمطار عن النّزول. لقد كان سكّان الجبل الأخضر متعوّدين على الأمطار لا سيما في منطقة درنة حتّى إنّ جدّتي كانت غالبا ما تعيد لنا نفس الحكاية عن فيضان الوديان في هذه المنطقة خلال أربعينات القرن الماضي وستّيناته عند كلّ موسم أمطار، خائفة من تكرّر الحادثة"[4]. يبدو يوميّ قاطني منطقة الجبل الأخضر حسب ما سردته لنا محدّثتنا قد أخذ شكل المشترك الذي يُجمِّع بين الأفراد في مختلف المناطق وإن كان ظرفيّا

[1] يقرّ العهد الدّولي الخاص بالحقوق المدنيّة والسياسيّة في فقرته الأولى من المادة ٦ "أنّ الحقّ في الحياة حق ملازم لكل إنسان. وعلى القانون أن يحمي هذا الحق. ولا يجوز حرمان أحد من حياته تعسّفا"، في: الأمم المتّحدة، حقوق الإنسان، مكتب المفوّض السّامي: صكوك حقوق الإنسان.
https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/international-covenant-civil-and-political-rights?fbclid=IwAR0D2lJV43Ip7r1rhjY--p1pMXQZClzGrkeDj_BauYptGBCDIEVrut-GHjo (Consulté le 03/03/2024)

[2] السيّدة سميّة البرعصي، رئيسة مجلس إدارة منظّمة حبر للتّنمية والثّقافة بليبيا. أصيلة منطقة البيضاء في الجبل الأخضر بليبيا

[3] توجد منطقة الجبل الأخضر في شرق الدّولة الليبيّة. وتتكوّن من عدّة مناطق مثل شيحا الشرقية وباب طبرق ودرنة والبيضاء وسوسة والورديّة والبيّاضة وعمر المختار واسْلنطا والوادي الحَمَرْ وجرْدَسْ. وتعتبر هذه المناطق هي الأشدّ تضرّرا من الفيضان.

[4] مستجوبتنا السّيدة سميّة البرعصي، يوم ٢٠٢٤/٠٢/٠٧، الثانية بعد الزّوال، عن طريق تطبيقة الواتساب.

واستثنائيّا. فما يعيشه الفرد في منطقة الشّحاذ مثلا هو نفسه الذي يعيشه نظيره في منطقة جرْدَسْ. إنّ الحضور ذاته في الزّمان (زمن هطول المطر) رغم اختلافه في المكان وكلّ ما يتّخذه هذا الفرد من سلوك حذر وأشكال تصدٍّ ومقاومة للأمطار لإنقاذ مترله أو للذّهاب للعمل أو لحماية سيّارته هو ذاته الذي يتّخذه الكثيرون غيره. إنّ الأفراد في أيّ مجتمع، لا يفتؤون يقومون بممارسات يوميّة مكرّرة، تحتكم إلى قانون ضمني، ملزم ومحدّد لأشكال الفعل الاجتماعي. فثمة "حسّ مشترك" ينمّط هذه التّصرّفات، ويجعلها تعتمل على هذا المستوى أو ذاك؛ ذلك أنّ السّلوك الاجتماعي للأفراد داخل الجماعة يفترض برأي "كارفنكل" توافر فهم مشترك يؤطّر الانتماء ويحدّد احتمالات الفعل والتّفاعل (العطري، ٢٠٢١: ٢٦)[1]. إذًا، يمكن أن نقول إنّ فعل مقاومة المطر صار من عادات متساكني الجبل الأخضر كلّ فصل شتوي ممّا طبع يوميّهم بالتعوّد واكتساب الخبرة البشريّة حتّى صار اليوميّ روتينيا وثابتا حسب "بلانديه" (Balandier, 1983: 5). وقد يُسمَحُ لنا بتوصيف هذا الاعتيادي والمتكرّر بـــ"الطّقس" طالما أنّه ليس يوميّا على مدار أيّام السّنة بقدر ما يشبه الطّقوس التي يحتفل بها الأفراد مرّة كلّ سنة مثل الأعياد ورأس السّنة الميلاديّة ... إلخ. ويقول العطري في هذا السّياق إنّ هذا التّكراري والمُعتاد عليه قد يأخذ خاصيّة العنف. "فاليومي لا يخلو من عنف مسلّط على الأفراد بحكم سلطة الاعتيادي" (العطري، ٢٠٢١: ٢٠-٢١). كما لا يفوتنا أن نُبيِّن توصيفا آخر ليوميّ سكّان هذه المناطق من خلال ما سردته لنا مستجوبتنا ؛ فقد تحدّثت عن خوف جدّتها من تكرار حادثة فيضان الأربعينات والستّينات من القرن الماضي واستحضارها الدّائم لها مع كلّ مطر، لأنّ هذا اليومي يعيش داخل ذاكرتها الممثّلة للذّاكرة الاجتماعيّة المُراوحة بين الماضي والحاضر. "فالمعيش اليومي يعبّر عن هويّة ثقافيّة تقيم فيها فضاءات الحياة اليوميّة، علاقة انتماء وحميميّة مع الزّمن في ماضيه وحاضره" (Zannad, 2006 :15).

خلال السّنوات الأخيرة، بدأ تعوّد متساكني الجبل الأخضر على السّيول كلّ شتاء يحيدُ عن الاعتيادي ويتجّه نحو القلق والحيرة خاصّة بعد أن فقدت إحدى العائلات ابنتها غرقا في منطقة البِيضاء سنة ٢٠٢٠[2]، حتى استفاقوا

[1] عبد الرّحيم العطري، ٢٠٢١، مقدّمة في سوسيولوجيا الحياة اليوميّة: من الرّمزي إلى التّناص الاجتماعي، في: إنسانيّات المجلّة الجزائريّة في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعيّة، عدد ٩٤، صص ١٧-٤١. في: https://doi.org/10.4000/insaniyat.25874

[2] توفّيت الطفلة "خشوع حمزة شعيّب"، ٧ سنوات، في: "بالصور: وفاة طفلة جرّاء سيول داهمت منزل أسرتها جنوبي البيضاء"، أخبار ليبيا ٢٤، ١٦ جانفي/ كانون الثاني، ٢٠٢٠: https://akhbarlibya24.net/2020/01/16/%D9%88%D9%81%D8%A7%D8%A9-%D8%B7%D9%81%D9%84%D8%A9-%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84-%D8%AF%D8%A7%D9%87%D9%85%D8%AA-%D9%85%D9%86%D8%B2%D9%84-%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D8%AC/amp?fbclid=IwAR2mpU9eNuVWflpJjrLPfRQ0fpTqiwO1rFpsb3W1nbgufxZbxTgnB0Qyd2M

سنة ٢٠٢٣ على كارثة بيئيّة حقيقيّة دمّرت الأخضر واليابس: البناءات الشاهقة والمنخفضة، والسّيّارات والطرقات والأزقّة والشّوارع والأطفال والنّساء والرّجال، والأثاث والألعاب والكتب، وكلّ ما يمكن أن يكون جزءا من أجزاء الحياة اليوميّة للأفراد قد وقع جرفه.

تقول مُحدّثتنا[١] "وفي ليلة مُمطرة كالعادة، كنّا قد أنهينا سهرتنا العائليّة واتّجهنا إلى غرف النّوم. وما لبثنا أن سمعنا صوتا مُدويّا قويّا مُرْعِبا مع السّاعة الواحدة ليلا تقريبا، حتّى خُيِّلَ إليّ أنّه صوت قنابل حرب. وما هي إلا ثوان حتى هجم علينا السّيل ونحن في الطابق الثاني من المنزل. فارتبكنا ولم نعرف ماذا نفعل بالضبط: كيف سنخرج والسّيل قد غمر المدارج ووصل إلينا وكأنّه شبح. يا ربيّ، ما هذا؟ كيف سننجُو؟ حمل زوجي الأولاد بسرعة وجمّعنا في ركن واحد من البيت. كانت بنتي وطفلاي يبكون من الخوف ويتساءلون هل سنغرق؟ هل سنموت؟ كنّا نرتعش جميعنا من الرّعب في ذلك الرّكن والماء تارة يمتدّ إلى ساقينا وتارة أخرى يتقهقر وينحسر فكأنّه حركة مدّ وجزر. لم أفهم إلى حدّ هذه السّاعة كيف مرّ ذلك المشهد بسلام وكيف نجوْنا. إنّها حقيقة مُعجزة. كلّ ما أتذكّره أنّنا نطقنا بالشّهادتين وسلّمنا أمرنا إلى اللّه ؛ وكنّا نردّد بصوت جماعي : يا الله. ومكثنا على هذه الحال إلى أن بدأ نور الفجر يتسلّل إلينا وكان السّيل قد هدأ وانحسر الماء وكأنّه يطلب منّا الخروج ويهبنا فرصة الحياة من جديد فاغتنمنا تلك الفرصة وخرجنا. وعند الخروج، تفاجأنا لم نجد الشّارع، ولم نجد الحواشين[٢]، كلّ شيء انهار وامّحى في ساعات قليلة. بعد برهة، التقينا بالبعض من جيراننا مكبّرين "الله أكبر" ؛ أمّا البعض الآخر فقد عرفنا في السّاعات والأيّام اللاّحقة أنّنا فقدناهم بمن فيهم أمّي ؛ رحمهم الله جميعا. ثمّ سكتت وبكت ثمّ تنهّدت وترحّمت عليهم وقالت : إيه هو هاك وخلاص. الحمد لله على كلّ حال[٣]". راوحت هذه المُحادثة بين البلاغة في تصوير المشهد والتّأثّر والبكاء فكان هذا اليوميّ مشحونا بعمق التّفاعل مع تلك اللّحظة الاستثنائيّة ومع الذّات ومع الآخر ومع اللاّمرئيّ، حتّى تراءت لنا الرّموز تخترق اليوميّ. فقد تحوّل هذا اليوميّ من فعل مقاومة لشيء واقعي حقيقي إلى طقس من الطقوس الدّينيّة والخضوع لسلطة المقدّس/ الغيبيّ. أثناء هذه التّجربة المشتركة شعر هؤلاء الناس بالخوف فتوجّه تركيزهم جميعا إلى الضّمير الجمعي: المعايير الفوقيّة والسّلطة العقائديّة والإيمان بالقوى الغيبيّة. فهي الوحيدة القادرة، حسب اعتقادهم، على إنقاذهم من ذلك الموقف الخطير. فكان أغلبهم يهلّل ويُكبّر وكأنّهم يلتمسون من المعتقد خلاصا وإنقاذا وسلامة. تميّزَ اليوميّ حسب مُحدّثتنا بخروج الأفراد من الوعي بالواقع إلى الوعي بالرّموز، وذلك من خلال امتدادات الدّين والمعتقد. في هذا الصّدد، ظهرت الهويّة والانتماء الجماعي والحسّ المشترك وحضر المقدّس بشكل جليّ في المجتمع الحديث وتحوّل الأفراد المنضبطون بفعل القوانين الموضوعيّة والأنظمة والمؤسّسات الاجتماعيّة إلى آخرين تحكمهم سلطة المقدّس.

لعب المقدّس دورا مهمّا في تجربة النّاجين من الغرق والموت في فيضان درنة حينما تمّ استثماره كمكوّن جوهري وأساسي لتحقيق النّجاة. فقد كان في حديث

[١] امرأة، ٤٥ سنة، متزوّجة، أم لبنت وطفلين، قاطنة بحي حشيشة في مدينة درنة، فقدت والدتها والبعض من جيرانها، نازحة إلى مدينة بن غازي ولها فيها منزل على ملكها الخاص. يوم ٢٠٢٤/٠٣/٠٥، الساعة سادسة مساء، محادثة مباشرة في مصحّة ابن خلدون، صفاقس، تونس.

[٢] جمع "حوش" ويُقصد به المنزل باللهجة الليبيّة.

[٣] بمعنى: هذا كلّ ما في جعبتي من حديث عن زمن الكارثة.

مستجوبينا تلميح بل وتصريح بأنّ الله كسلطة خارقة لقوى البشر أنقذهم من الموت في وقتٍ عجزت فيه سلطتهم الخاصة على إنقاذ أرواحهم. فقد كرّر المستجوبون عبارة "نجّانا ربّي" ؛ وهنا امتزجت التّجربة المعيشة بمشاعر الثّقة في "السّلطان الرّمزي" (بورديو، ٢٠٠٧: ٤٧). تنحت لنا مستجوبتنا الأخرى[١] نفس الصّورة تقريبا بخصوصيّة الحسّ الجمعي، فكثيرا ما ردّدت أثناء سردها لتجربتها مع الفيضان أنّ "كلّ واحد يفكّر في حاله ما يذّكّرش غير الله سبحانه وتعالى"؛ فتمّ توظيفُ المقدّس في السّياق الاجتماعي الدّنيوي وكأنّه عالم "الكمال الأبدي".

بعد مرور فترة زمنيّة عن عاصفة دانيال/ الفيضان في درنة، لم ينس الأفراد ما حدث لهم، خاصّة منهم متساكني درنة والبِيضاء. فقد أكّدت لنا مستجوبتنا[٢] معاناتهم المعنويّة سواء منهم أولئك الذين سلمت منازلهم أو أجزاء منها أو الذين نزحوا إلى مدن أخرى (مثل بن غازي وطرابلس ومصراته). ظلّ خراب المكان المُحيط بغير النّازحين يذكّرهم بما حصل في كلّ وقت وحين، حيث يكون اليوميّ في هذه الحالة متّصلا بذاكرة المكان ومتمفصلا مع مشاعر ممزوجة بالتّوْقِ إلى الجيران وحتّى إلى المعمار أو الهندسة المعماريّة للمنطقة كما كانوا يرونَها قبل حدوث الكارثة. أمّا اليوميّ بالنّسبة للنّازحين، فممزوج هو الآخر بالحنين إلى ديارهم وشوارعهم وأزقّتهم ومدينتهم وجيرانهم وخلاّنهم. فلم يكن أمامهم سوى العيش على التذكّر والعودة في مركبة من الخيال/المخيّلة تنتقل بهم من الحاضر المؤلم الحزين إلى الماضي السّعيد الذي يَمنحهم بسخاء انتماءً وهويّةً. يُحيلنا هذا الواقع المعيش على ما قاله "بورديو" : "الحاضر هو الذي يُنتج الماضي" (Bourdieu, 1970: 58)، "ومن هنا تصير كل متابعة ممكنة لليومي، انخراطا مباشرا، وانعطافا نحو الماضي، وإدراكات الزّمن وتخريجات الذّاكرة. فاليومي يتجاوز اللّحظة إلى كلّ المعاني التي نمنحها للوجود والعلاقات، والصّيغ التي نُدرك بها الأزمنة والأمكنة ونشكّل بها التّفاعلات والعلاقات مع الأفراد والجماعات" (العطري، ٢٠٢١: ٢٢).

في نفس هذا السّياق حدّثنا مستجوبنا[٣] عن ألمه لفقدان أفراد عائلته فهو النّاجي الوحيد بينهم. وقد سرَدَ لنا حكاياتٍ وتفاصيلَ عن تجربته مع الكارثة وكانت مشابهة تقريبا لما ذكرته المستجوبات السّابقات. وفي الأثناء، قال: "لم أجد زوجتي وأطفالي بعد، ولا أدري إن كانوا قد ماتوا أو مازالوا عالقين في أماكن أخرى. لو أنّني وجدت جثثهم على الأقل لأقمت لهم جنازات وشيّدت لهم قبورا تكون نقطة وصل بيني وبين أرواحهم وأقتنع باستحالة رؤيتهم إلا في عالم ما بعد الموت". يتنزّل اليوميّ من خلال هذا القول ضمن خانة أخرى تتمثّل في كيفيّة تعامل الأفراد مع فاجعة الفقد / الموت، "وفي ذلك إشارة خفيّة إلى معنى الخلود أيضا والذي يتأسّس انطلاقا من تحديد المفهوم الأوليّ لمعنى الموت والذي هو انفصال الرّوح عن الجسد" (النّهدي، ٢٠٠٨) ؛

[١] امرأة، ٥٢ سنة، متزوّجة، أم لثلاث بنات وطفلين، قاطنة بشارع الدّيباني في مدينة درنة، فقدت البعض من جيرانها، نازحة إلى مدينة بن غازي. يوم ٢٠٢٤/٠٣/٠٥، الساعة الثامنة مساء، محادثة مباشرة في مصحّة ابن خلدون، صفاقس، تونس.

[٢] مستجوبتنا السّيدة سميّة البرعصي، يوم ٢٠٢٤/٠٢/٠٧، الثانية بعد الزّوال، عن طريق تطبيقة الواتساب.

[٣] رجل، ٧٦ سنة، متزوّج، أب لثلاثة أولاد وبنتين، قاطن بباب طبرق في مدينة درنة، فقد عائلته، نازح إلى مدينة طرابلس. يوم ٢٠٢٤/٠٣/٠٥، الساعة الثالثة بعد الزّوال، محادثة شبه مباشرة عن طريق تطبيقة الواتساب.

فيُدفن الجسد في قبر يكون مركز التقاء الأحياء / الواقعي مع الأموات / شيء خفي: الرّوح. كما بدت التمثلات الاجتماعيّة حول الموت من خلال المنظومة المنطوقة لمحدّثنا في شكل تفضيل موت أفراد عائلته على أن يكونوا عالقين في مكان مجهول وأن يكون مصيرهم مجهولا، وذلك لاعتبارين اثنين: "أوّلهما أفضليّة الموت أحيانا على مظاهر الذلّ والإهانة، وثانيهما حتميّة الموت وأنّ الحياة هبة من لله يأخذها متى يشاء" (نفسه، بتصرّف). كان الجانب النّفسي حاضرا في كلّ كلمة تحدّث بها مستجوبنا، فلم يكفّ عن ذكر الرّحمان وهو ما يُحيل إلى سيطرة سلطة المقدّس في التّعامل مع المصائب المُشار إليها أعلاه، كما امتزج خطابه بالآهات قائلا "قعدت براسي (يقصد بذلك: رحل الجميع وبقيت بمفردي) ولا شيء يعزّيني سوى بعض الصّور الافتراضيّة التي أعود إليها من حين لآخر لاسترجاع بعض الذّكريات، منها صور أولادي وأحفادي وزوجتي، صور فرح لمّتنا في الأعياد والمناسبات، صور مترلي المنهار في الفيضان... إلخ". إنّ المتمعّن في مضمون المُحادثة الأخيرة يلاحظ حضور الشّعور بالألم والوحدة كمكوّنيْن أساسيّين لليوْميّ المركزيّ لمستجوبنا، حتّى إنّه لم يتمكّن من التّحرّر من تلك الضّغوط النّفسيّة فانعكست على علاقته بالمحيط الخارجي الجديد الذي نزحَ إليه و لم يتقبّله بعدُ رغم أنّه يمثّل بيئته الجديدة.

*** نتائج البحث ومناقشتها**

نستجلي من خلال أمثلة بحثنا أنّ المعيش اليوميّ غارق في الزّمن الاستثنائي والمقصود به: ذلك "السّجلّ الزّمني المُفارق للاعتيادي". فالأمثلة يشتركون جميعا في يوميّ تتداخل فيه مشاعر القلق والحيرة جرّاء التغيّرات المناخيّة التي بلغت حدود الكوارث ولكن باختلاف طبيعة مخاطر تلك الكوارث وحدّتها.

لم يكن اليومي الذي عاشه "تيتيوتا" مجرّد تجربة أو واقعة جامدة بقدر ما كان نتاجا لتراكمات عبر التّاريخ. فقد كان، منذ السّبعينات، في صراع مع كارثة ارتفاع مستوى البحر في الجزيرة التي كان يعيش فيها، وحتّى عند انتقاله إلى مترل أصهاره استمرّ ذلك الصّراع مع التّدهور البيئي. أمّا ما حدث في الجبل الأخضر بليبيا، فكان حدثا غير متوقّع فاجأ الجميع لا سيما وأنّ المعيش اليومي لسكّان هذه المنطقة قد اعتاد على التّساقطات وحتّى نزول الثّلج خاصة في منطقة البِيضاء. ومن هنا يمكننا الإشارة إلى أنّ اليوميّ في المثال الأوّل بدى لنا كنمط تدبير مرتبط بالأحداث البيئيّة داخل النّسق البيئي والاجتماعي العامّيين اللذين ينتمي إليهما. أمّا المثال الثّاني فلاح كنمط مُسقط غير منتظر، نمطٍ مفروضٍ على النّسق البيئي والاجتماعي بأكملهما.

وكان من بين خصوصيات التّجربة المعيشة حضور الجانب النّفسي في خطابات المتحدّثين المكتوبة (يواني تيتيوتا) والمنطوقة (المستجوبون). فلم تكن مجرّد كلمات تسرد ما حدث في الأزمنة الماضية والحاضرة، بل كانت خطابات لغويّة وكلمات ممزوجة بالآهات تغصّ في حلوق المتحدّثين فتدمع أعينهم من فرط الحزن.

تُبدي السّيرورة اليوميّة لـــ"يواني تيتيوتا" كمّية المُحاولات والتّجارب المُحاربة من أجل الاستقرار لا أكثر. ولعلّ هذا القدْر من المقاومة والاستمرار والإصرار يكشف عن حالات الإحباط المتمكّنة من عالم اللاّوعي فصار هو المتحكّم فيه. وعلى ضوء هذا يمكننا أن نفهم أنّ العالم المشحون بتراعات "يُواني تيتيوتا" مع محيطه الخارجي (البيئة

المضطربة، الدّولة غير القادرة على إيجاد حلول للتّدهور البيئي، والبلد المستقبل غير المتفهّم ...) قدّم لنا اليوميّ في صورة المناضل، مع العلم أنّ هذا النّضال لم يكن ذاك النّضال التّقليدي من أجل مطالب اقتصاديّة أو اجتماعيّة بقدر ما كان نضالا من نوع جديد خلقته الظّروف البيئيّة والتغيّرات المناخيّة: كان نضالا من أجل اللّجوء البيئي. ثم إنه لم يكن لـــيواني تيتيوتا يوميٌّ هامشيٌّ بقدر ما كان يوميُّه مركزيّا منصبّا على إنقاذ نفسه وعائلته من مخاطر التغيّرات المناخيّة في كيريباس. كان يوميُّهُ خارجا عن البنية الاجتماعيّة المهيكلة جماعيّا، حيث يعيش جميع أفراد مدينته ووطنه نفس اليوميّ إلاّ أنّه اخترق النّموذج الجماعي ليرسم لذاته نموذجا خاصّا به بعيدا عن المخاطر حتّى يمكننا توصيفه بيوميّ مُضاد للاعتيادي ومبتدع ومخترق لحدود التّكراريّة ولضوابط الخضوع لما يسير عليه القطيع الذي ينتمي إليه.

بناء على هذا، لم تكن أمثلة بحثنا في المعيش اليومي في سياق مخاطر التغيّرات المناخيّة من قبيل ذاك الواقع المتخفّي وراء الأقنعة حسب "غوفمان" (Goffman,1973: 12) ولا من قبيل ذاك التّافه بلا حقيقة حسب "بلانشو" (Blanchot, 1969: 305) ولا من قبيل ذاك المفعم بالزّلات والأغلاط المنسابة من اللاّوعي حسب "فرويد" (Freud, 1901: 59-60) ولا من قبيل ذاك العابر والمندثر بلا أثر وفقا "لمافيزولي" (مافيزولي، ٢٠١٠) بل كان ذلك الكلّ الذي هو امتزاجٌ بين الحاضر والماضي وبين الاعتيادي والاستثنائي وبين الخيالي والواقعي وبين المزيّف والحقيقي وبين "الهامشي والمركزي والأساسي والثانوي، إنه الغموض بعينه" (Maffesolli, 2009: 14). انطلاقا من هذا المعيش، تجلّى لنا حراك اجتماعي كلاسيكي اتّخذ شكل الحراك الرّأسي السّلبي من الأعلى إلى الأدنى، لاسيما وأنّ أغلب المتضرّرين في درنة قد فقدوا ديارهم وممتلكاتهم بسبب العاصفة الفيضانيّة ؛ وهذا ما سمّاه سوروكان (Sorokin, 1928) بالحراك الاقتصادي، وذلك بانخفاض المستوى الاقتصادي لهؤلاء المتضرّرين بعد أن فقدوا أشياءهم الماديّة. ثمّ إنّ الحراك في تجارب مستجوَبينا لم يكن في أغلبه أسلوب حياة، كما قال غوفمان، أي باختيار إرادي، بقدر ما كان مفروضا عليهم لظرف معيّن. وإذا كانت مسألة الحراك كظاهرة اجتماعية مكانيّة قد أثارت الكثير من الجدل بين مفكرين كثر من أمثال مينك وكوفمان (Mincke et Kaufmann, 2017) وجون إيري (John Urry, 2007) وتيم كريسويل (Tim Cresswell, 2013)[1]، فإنّ مستجوبينا قدّموا لنا، بطريقتهم، نوعيّة جديدة من الحراك في المكان منبثقة من سياق المخاطر الذي عاشوه في تجربتهم مع الفيضان وارتفاع مستوى البحر؛ وهو حراك محوٍ للذّاكرة المكانيّة والهويّة الثّقافيّة للأشخاص وللمدينة ككل بسبب التّغيّرات المناخيّة. فإضافة إلى التّهديدات البيئيّة، تمّ إقرار سياسة الإخلاء في مدينة درنة باسم إعادة الإعمار، وطرد العديد من الأشخاص من مساكنهم مقابل تعويضات ماليّة وحتّى بدون مدفوعات، فيما خدمت الكارثة هذه السّياسة ممّا جعل معيش هؤلاء المتضرّرين النّاجين غارقا في الأزمة إلى اليوم. فقد ذكر لنا المتضرّرون الثلاثة النّازحون إلى طرابلس وبن غازي بأنّهم لم يعرفوا الهجرة الدّاخليّة بسبب الكارثة فحسب؛ بل إنّ العديد من منطقتهم قد تمّ تهجيرهم خدمة

[1] Voir la vidéo : Tim Cresswell, « La mobilité entre mouvement, signification et pratiques » : https://fr.forumviesmobiles.org/video/2013/09/13/mobilite-entre-mouvement-signification-et-pratiques-1163

لسياسة الاستثمار وإعادة الإعمار التي اتّخذتها حكومة الشّرق اللّيبي. وفي هذا الصّدد، ينكشف لنا اختلاف آخر في التّجارب اليوميّة بين مثاليْ كيريباس ودرنة. ففي المثال الأوّل، كانت الدّولة تجتهد من أجل حماية المتساكنين من مخاطر التغيّرات المناخيّة[1] ؛ أمّا في الثّاني فقد وقع إهمال المتساكنين بعدم تهيئة السّدّين المهترئين[2] بدرنة، وذلك بسبب الصّراع السّياسي وفوضى القيادة في ليبيا منذ تاريخ ثورة ٢٠١٠-٢٠١١.

*** الخاتمة**

الجدير بالذّكر في خاتمة هذا العمل أنّ التّجارب اليوميّة لأمثلة بحثنا قد تمظهرت في شكل انعدام المساواة والظّلم وعدم القدرة على مواجهة التّحدّيات ؛ فمكتسبات العلم والتّصنيع والحداثة التي بلغها الإنسان عادت بالنّفع على الدّول الغنيّة وبأزمات وكوارث مسّت البيئة والإنسان في المجتمعات النّامية. فقد ظُلِمَ هؤلاء من قِبل المظلومين بدورهم والمنسيّين نسقيّا كما سمّاهم المؤرّخ "مارك سِيُوك" (Mark Cioc, 2007: 399-407) والمقصود هنا هو الطبيعة والمحيط البيئي اللذان تمّ التّعامل معهما من دون حذر أو قيود أو شروط. سعى قادة العالم (بين مفكرين وسياسيّين واقتصاديّين وأثرياء) إلى خلق الرّفاه الاجتماعي بتطويع كلّ الموارد الطبيعيّة، إلاّ أنّ هذا السّعي قد حاد عن هدفه وصار أغلب أفراد العالم اليوم يعيشون في حالة تأهّب دائمة. فبمجرّد أن تتراكم السّحب اليومَ، يسري نوع من الذّعر داخل نفسيّة الأفراد وداخل البنية الاجتماعيّة ككل. فقد كان من النتائج المنحرفة للرّفاه الاجتماعي (الحداثة وما بعد الحداثة) انتهاكٌ وتهميشٌ لحق الإنسان في العيش بسلام داخلي وطمأنينة مع البيئة. وكما قال الأمين العام للأمم المتّحدة عن كارثة الجبل الأخضر[3]، فإنّ "درنة تصوّر بشكل محزن حالة عالمنا من انعدام المساواة والظلم وعدم القدرة على مواجهة التّحدّيات". لذلك لابدّ من عقد مقاربة تشاركيّة بين جميع الدّول والحكومات والمنظمات الحقوقيّة والمدنيّة والباحثين والأكاديميّين لاتّخاذ إجراءات جريئة لتفعيل التكيّف مع التغيّرات المناخيّة قصد توفير العدالة المناخيّة وتفعيل الحق في بيئة سليمة الذي أقرّه مجلس حقوق الإنسان.

*** المراجع**

اولاً- المراجع العربية

الحبيب النّهدي، ٢٠٠٨، "محاولة في دراسة المواقف أمام الموت"، أنفاس من أجل الثقافة والإنسان.

حبيب معلوف، ٢٠١٦، قضيّة تغيّر المناخ العالمي: بين إخفاقات كيوتو وتوقّعات باريس، الطبعة الأولى، لبنان، دار الفرابي للنّشر.

عبد الرّحيم العطري، ٢٠٢١، "مقدّمة في سوسيولوجيا الحياة اليوميّة: من الرّمزي إلى التّناص الاجتماعي"، في: إنسانيّات المجلّة الجزائريّة في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعيّة، عدد ٩٤، صص ١٧-٤١. في: https://doi.org/10.4000/insaniyat.25874

[1] برنامج العمل الوطني للتكيف لعام ٢٠٠٧ الذي قدمته كيريباس بموجب اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ. في: الأمم المتّحدة (CCPR/C/127/D/2728/2016) ... مرجع سابق، ص، ٢.

[2] سدّ أبو منصور وسدّ البلاد بوادي درنة اللذان أنشئا في سبعينات القرن الماضي.

[3] أخبار الأمم المتّحدة، يوم ١٩ سبتمبر ٢٠٢٣ (متابعة شخصيّة).

مجلس حقوق الإنسان، ٢٠١١، الدورة التّاسعة عشرة، تقرير مفوّضيّة الأمم المتّحدة السامية لحقوق الإنسان، دراسة تحليليّة بشأن العلاقة بين حقوق الإنسان والبيئة، ١٦ ديسمبر، ٢٠١١.

مجلس حقوق الإنسان، ٢٠٢١، الدّورة الثّامنة والأربعون، قرار 14/48، ولاية المقرّر(ة) الخاص(ة) المعني(ة) بتعزيز حقوق الإنسان في سياق تغيّر المناخ، قرار اعتمده مجلس حقوق الإنسان في ٠٨ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢١،

مجلس حقوق الإنسان، ٢٠٠٩، الدّورة العاشرة البند ٢ من جدول الأعمال، "التقرير السّنوي لمفوّضة الأمم المتّحدة السّامية لحقوق الإنسان وتقارير مفوّضيّة الأمم المتّحدة السّامية والأمين العام، تقرير مفوّضيّة الأمم المتّحدة السّامية لحقوق الإنسان بشأن العلاقة بين تغيّر المناخ وحقوق الإنسان"، جانفي/يناير ٢٠٠٩، ص، ٥.

ثانياً- المراجع الاجنبية

Abdelali Gourfi, 2022, « L'évolution de la végétation, son impact sur les îlots de chaleur et sa relation avec les politiques publiques, Cas de Marrakech, Maroc », Le Quatrième Forum de Recherche, organisé par le Conseil Arabe pour les Sciences Sociales, les 20 et 24 juin 2022, à Beyrouth, Liban.

Arthur Westing, 1992, « Environmental refugees: A growing category of displaced persons »; in: Environmental Conservation, N°19, pp. 201-207

Balandier, George. 1983, « Essai d'identification du quotidien »; in : Les Cahiers internationaux de sociologie, 74. Paris: PUF. DOI: 10.1522/030111358

Béchard Louis, 2018, Les migrations environnementales en 2018: L'agenda 2030 des Nations Unies et la responsabilité des pays du Nord, Essai présenté au Centre universitaire de formation en environnement et développement durable en vue de l'obtention du grade de maître en environnement (M. Env.), pp, 7-8.

Bounouh Abdlala, et Sonia Gsir, 2017, Migration et environnement en Tunisie: Relations complexes et défis pour le développement, édition : Organisation Internationale pour les migrations.

Brown Lester, 1976, Mcgrath P., Stokes B., « Twenty two dimensions of the population problem, Worldwatch Paper, 5 » ; in : Washington DC, Worldwatch Institute.

El-Hinnawi Essam, 1985, « Environmental Refugees »; in: Nairobi: United Nations Environment Programme.

publique : de la contestation écologiste aux défis de la gouvernance, Montréal, édition Les Presses de l'Université de Montréal, 157-172.

Humboldt Von Alexandre, 1807, « Essai sur la géographie des plantes »; in: Gallica Bibliothèque numérique, 169p.

Jacobsen Jodi L, 1988, « Environmental Refugees: A Yardstick of Habitability », Worldwatch Paper, 86, Washington DC, Worldwatch Institute, 1988.

Jean-François Mouhot, 2012, « Du climat au changement climatique: Chantiers, leçons et défit pour l'histoire » ; in: Culture and conflit, N °88, p, 26.

Juliette Maisons, 2009, Vincent Kaufmann, (2008), « Les paradoxes de la mobilité, bouger, s'enraciner » ; in : Méditerranée, N° 113, pp 154-155. https://doi.org/10.4000/mediterranee.3859 (Consulté le 07/02/2024).

L'organisation Internationale pour la Migration (OIM), rapport 2019; in: https://www.iom.int/fr/resourc

https://scholar.google.com/scholar_lookup?title=Environmental+Refugees&author=E+El-Hinnawi&publication_year=1985& / https://digitallibrary.un.org/record/121267 (Consulté le 04/02/2024).

Gemenne, François, et Agathe Cavicchioli, 2010, Migrations et environnement : prévisions, enjeux, gouvernance ; in : Regards croisés sur l'économie, Vol, 2, N° 8, 84-91. https://www.cairn.info/revue-regards-croises-sur-l-economie-2010-2-page-84.htm (Consulté le 11/02/2024).

Gillard, L. et al. 1993. A propos de "philosophie de l'argent" de Georg Simmel, Paris: L'Harmattan.

Gonthier Fréderic, 2004, « Weber et la notion de compréhension »; in: Cahiers Internationaux de Sociologie, N°116,

Guilbeault Steven et Jean-Guy Vaillancourt, 2003, « Les changements climatiques et le rôle des organisations non gouvernementales »; in: Gendron, Corinne et Jean-Guy Vaillancourt, Développement durable et participation

&pages=167-182& (Consulté le 04/02/2024).

Overseas Development Institute and Climate and Development Knowledge Network, 2014, « The IPCC's Fifth Assessment Report: what's in it for small island developing States? »; in: https://cdkn.org/sites/default/files/files/IPCC-AR5-Whats-in-it-for-SIDS_WEB.pdf (Consulté le 24/02/2024).

Rigaud, Kanta Kumaride, De Sherbinin Alex, Jones Bryan, Bergmann Jonas, Clement Viviane, Ober Kayly, 2018, « Groundswell: Preparing for Internal Climate Migration » ; in : Washington D.C. : World Bank Group. Repéré à https://openknowledge.worldbank.org/handle/10986/29461 (Consulté le 09/02/2024).

Rudolf Florence, 2009, Le Climat change... et la société?, Montreuil, La Ville Brûle, 144p.

Rudolf Florence, 2012, « La réception territoriale du changement climatique ou comment le changement climatique contribue à l'émergence de territoires et de politiques climatiques spécifiques » ; In : Vertigo : la

es/rapport-de-loim-2019 (Consulté le 09/02/2024).

Labov William, 1976, Sociolinguistique, Paris, Editions de Minuit.

Mark Cioc et Char Miller, 2007, « interview with Roderick Nach, »; in: Environmental History, Vol, 12, N° 2, pp, 399-407.

Morel Michèle et Nicole De Moor, N, 2012, « Migrations climatiques: quel rôle pour le droit international ? » Cultures & Conflits, Vol 4, N° 88, 61-84. https://www.cairn.info/revue-cultures-et-conflits-2012-4-page-61.htm (Consulté le 11/02/2024).

Myers Norman, 1994, « Eco-refugees: A crisis in the making », People and the Planet, N° 3, pp. 6-9.

Myers Norman, 1997, « Environmental Refugees »; in: Population and Environment, 2-19, pp. 167-182. https://scholar.google.com/scholar_lookup?journal=Population+and+Environment&title=Environmental+refugees&author=N+Myers&volume=19&issue=2&publication_year=1997

variability attributable to natural cuases ; In:

Urry John, 2007, Mobilities, London: Polity.

Vincent kauffmann, 2021, « Histoire de la notion de mobilité », in: FORUM vies mobiles: https://forumviesmobiles.org/node/13605/printable/print (Consulté le 07/02/2024).

Zannad Bouchrara, Traki, 2006, La mémoire du vécu: Pour une sociologie du vécu, Tunisie: SREC.

revue électronique en science de l'environnement, Hors-serie N° 12. URL: http://journals.openedition.org/vertigo/11825 ; DOI: https://doi.org/10.4000/vertigo.11825 (Consulté le 05/02/2024).

Sillamy Norbert, 2010, Dictionnaire de psychologie (French Edition), Larousse In Extenso.

Sorokin Pitirim, 1928, « Social Mobility »; in: American Journal of Sociology, Vol.34, N°1, pp 219-225.

Svante Arrhenius, 1896, « On the Influence of Carbonic Acid in the Air Upon the Temperature of the Ground »; in: The London, Edinburgh and Dublin Philosophical Magazine and Journal of Science, Vol 41, N° 251, pp. 237-276.

United Nations Framework Convention on Climate Change (UNFCCC), art. 1, para. 2. The Intergovernmental Panel on Climate Change (UPCC) uses a similar definition, the main diffirence being that IPCC covers all aspects of climate change and does not make a disribution to human activity and climate change and